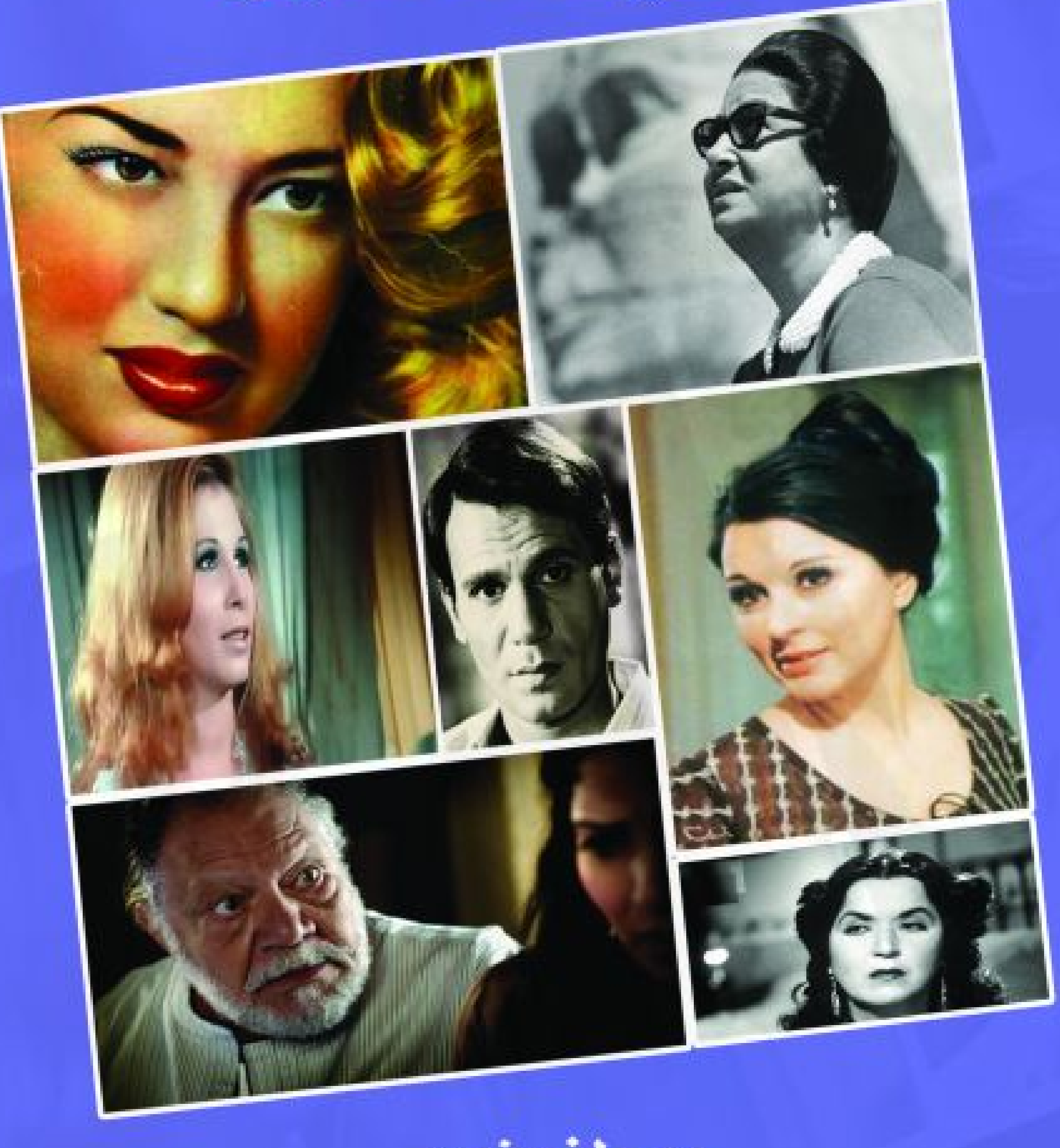
عصر الفن الذهبي

حكايات لا تعرفها



مصطفى نصر

عصر الفن الذهبي
حكايات لا تعرفها

مصطفى نصر

الكتاب: عصر الفن الذهبي.. حكايات لا تعرفها

الكاتب: مصطفى نصر

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

نصر، مصطفى

عصر الفن الذهبي – حكايات لا تعرفها / مصطفى نصر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى: ٥ – ٢٦٤ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٢٨٤٣ / ٢٠١٦

عصر الفن الذهبي

حكايات لا تعرفها



مقدمة

ارتبط عبد الحليم حافظ بالإسكندرية، فغنى فيها أغنيته "صافيني مرة"، لكن الجمهور لم يستسغ غناء، فسبوه وضربوه بالبيض والطماطم، وعاد للإسكندرية بعد أن أصبح نجما مشهورا، وغنى نفس الأغنية، وعلى نفس المسرح الذي شهد فشله، فتقبله الجمهور بالتصفيق والإعجاب. وهذا ما يؤكد إصرار عبد الحليم وصلابته.

واكتشفت أن قصة فيلم فاطمة لأم كلثوم، قصة حقيقية، وبطلتها المطربة فاطمة سري التي غنت في قصر هدى شعراوي – فأعجب بها ابنها محمد باشا شعراوي، وطاردها حتى وافقت أخيرا أن يتزوجها عرفيا. وأنجب منها ابنتهما ليلى، وخاف الزوج من أن تعلم أمه وتغضب عليه، فطلب ورقة الزواج العرفي، وتوقعت الزوجة منه شرا، فذهبت لعامل زنكوغراف وطلبت منه أن يصنع لها ورقة شديدة الشبه بهذه الورقة، وقدمت لزوجها الباشا الورقة المقلدة، وعندما وصلت القضية للمحاكم، قدمت ورقة الزواج العرفي الحقيقية. فحكم القاضي لصالحها، واضطرت

صاحبة العصمة هدى شعراوي أن تعترف بحفيدتها ليلى، وأن تنهى خصومتها لفاطمة سري.

تذكر مصطفى أمين هذه الحكاية، عندما طلبت أم كلثوم منه كتابة فيلم لها، فكتب فيلم فاطمة.

وانتشرت بين مثقفي الإسكندرية حكاية طريفة، حدثت وقت انعقاد مهرجان الإسكندرية السينمائي، زميل لنا كان رئيسا للجنة الثقافية في مجلس محلي الإسكندرية وعضوا في لجنة إعداد المهرجان، سأل في الفندق يقيم به نجوم المهرجان؛ عن أمير، فقالوا له: "في حجرة إلهام شاهين"، فدق جرس بابها وسأل عن أمير، فقالت بكل بساطة وهدوء: "في الحمام"، فثار وهاج وهدد بإبلاغ بوليس الآداب، واجتمع الكثير حولهما، واتضح أنه يسأل عن الناقد السينمائي الأمير أباظة، ولأنه ذكر كلمة "أمير" دون لقب، فظنوه يقصد أمير، الصبي، شقيق إلهام شاهين الذي كان صغيرا في ذلك الوقت. وطُرد زميلنا من المهرجان، وانتهى مستقبله السياسي في المحافظة والحزب الوطني.

ويحكي الكتاب عن حب رامي والقصبجي العجيب لأم كلثوم، وصدمتهما عندما علما بزواجها من الملحن محمود الشريف، فخرج رامي ببيجامته وركب الأتوبيس ذاهبا إليها، بينما أطلق القصبجي طلقات مسدسه في بيتها، فاضطرت أن تطلب له بوليس النجدة.

ويحكي عن كاميليا اليهودية التي انفجرت بها الطائرة واحترق جسدها الجميل، واحترقت أيضا يهودية أخرى تونسية اسمها حبيبة

مسيكة، كانت شديدة الجمال مثل كاميليا، أشعل عشيقها النار في جسدها، وكان يدفعها للنار كلما حاولت الهرب.

ونذكر المصير الذي يلقاه صوت أسمهان المميز والنادر، فقد ماتت في عز شبابها، وكذلك انتهت حياة كل شبيهات صوتها، جيهان ونادية فهمي ونازك، ماتوا كلهن في عز الشباب، وفي ظروف صعبة.

ويحكي عن قصة حب عجيبة وغريبة بين الكاتب عباس علام، الذي كتب ثلاثة أفلام لمحمد عبد الوهاب: يحيا الحب، وممنوع الحب، ولست ملاكا، وكان كاتب قصة قصيرة، ومن كتاب المسرح المشهورين في عصره، أحب ممثلة يهودية اسمها فيكتوريا موسى، كانت زوجة لأحد أصحاب فرقة عكاشة، فاستغلته هي وزوجها، لدرجة أنه من شدة حبه لها كان يسميها إيزيس، وهو عبد إيزيس، وكان زوجها يستغل حبه لها، ويطلب منه أن "يكبر" دوره في المسرحيات التي يكتبها للفرقة، ويأخذه هو وزوجته للسوق ليحمل لهما ما يشتريانه.

ويحكي عن الربط بين الحقيقة والخيال في السينما والمسرح: ففي أول مسرحية مثلتها فاطمة رشدي على المسرح، هجم عليها عزيز عيد راغبا في اغتصابها، فوقفت أمها صارخة، ومهددة لعزيز عيد، دفاعا عن ابنتها، حتى كادت تفسدت العرض، وزيزي البدراوي التي فقدت إعجاب جمهورها بها، لأنها رفضت حب عبد الحليم حافظ في فيلم البنات والصيف. والممثل التونسي الذي قام بدور وحشي في فيلم

الرسالة، فطردته أمه من البيت متهماه بالكفر، ولم تصدق أن ما رأته كان تمثيلا، إلا عندما أخذ معه للبيت كبار أهل بلدتهم، ليقنعوها.

وعن أصالة الزوجة المصرية في فيلم "ما فيش تفاهم" فعلوية جميل مستبدة وتتعالى على زوجها حسين رياض، لكنه تظاهر بالمرض، فخافت عليه، وغيرت طريقة المعاملة معه، حتى استغل مرضه للسيطرة عليها، وكذلك فعلت شادية في فيلم "مراتي مدير عام"، فكانت رئيسته في العمل، وهو رئيسها في البيت.

ويحكي الكتاب عن ظاهرتين غاية في الأهمية، فكنا نتعامل مع شخصيات مريضة، تبالغ في تعظيم دورها في الحياة، كنا نجد هذه الشخصيات بين أقاربنا وبين جيراننا وفي أماكن عملنا، لكننا لم نلتفت إليها إلا عندما قدم لنا لينين الرملي شخصية "على بك مظهر"، وكذلك شخصية "حمادة عزو" فكل أسرة فيها "حمادة عزو"، ولم نلتفت إليها إلا عندما كتب يوسف معاطي مسلسله التليفزيوني "يتربى في عزو" عن حمادة عزو.

الإسكندرية في حياة عبد الحليم حافظ

غنى عبد الحليم حافظ في عام ١٩٥٢ أغنية "صافينى مرة"، على المسرح القومي بكورنيش بحر الإسكندرية، لكن الجمهور رفض الأغنية وطلب منه أن يغني أغاني عبد الوهاب، وعندما أصر على أن يغني أغنية من أغنياته؛ سبوه وضربوه بالبيض والطماطم، فخاف المتعهد عبد العال صديق (وهو تاجر أخشاب في باب سدرة)، أن يحطم الجمهور المسرح والآلات الموسيقية فطلب من عبدالحليم أن يخضع لرغبة الجمهور ويغني ما يريدون، لكنه أصر أن يغني "صافيني مرة"، من كلمات سمير محجوب وتلحين محمد الموجي، فطرده المتعهد هو والموجي، وكانت ترقص ضمن برنامج الحفل، فتعاطفت مع عبد الحليم والموجي، وتشاجرت مع المتعهد وأصرت على ترك الحفل، ودعت عبد الحليم والموجي في شقتها بالإسكندرية، وطلبت منهما أن يؤديا الأغنية، فغنى عبد الحليم وعزف الموجي على العود، ودفعت لهما ما كان سيدفعه المتعهد.

وذهب عبد الحليم في هذه الليلة إلى سكن محمد عبد الوهاب في الإسكندرية، الذي طُرد من الحفل بسببه، فأعطاه عبد الوهاب مبلغاً من المال تعويضا عما حدث له في هذه الليلة.

ويُذكر أن عبد الحليم كان حريصاً على أن يغني نفس الأغنية "صافيني مرة" على نفس المسرح الذي شهد ضربه بالبيض والطماطم، الذي شهد طرده منه، وذلك بعد سنتين من وقوع هذه الحادثة، والمفاجأة أن الجمهور تقبل الأغنية بإعجاب شديد، وهذا يؤكد إصرار عبد الحليم وعزيمته.

ارتبط مصير عبد الحليم حافظ بالإسكندرية منذ بداية مشواره الفني، فأول ما غنى؛ غنى ثلاث أغنيات للمؤلف السكندري أحمد السمرة هي "بدلتي الزرقاء" من تلحين عبد الحميد توفيق زكي، و"صحبة الورد" من تلحين فؤاد حلمي، و"أبو سنة دهب لولي".

كما غنى أغنية "القرنفل" من تأليف الأديب السكندري الدكتور يوسف عزالدين عيسى، ومن تلحين على فراج.

وغنى "بيني وبين قلبي حكاية" تأليف السكندري محمد على أحمد، وتلحين الملحن السكندري أيضا خليل المصري.

ومن أجمل ما غنى عبد الحليم في أول حياته قصيدة "ربما" التي مطلعها:

في ربى الورد وعند النهر بين غادات الربيع الباكر
وعلى أفق النجوم الزهر أنا أحيا كالفراش الحائر

من تلحين محمود كامل وكلمات "محمد على أحمد" الذي كان يعمل ضابطا في مرور الإسكندرية، وكان يقف ليشرف على تنظيم المرور في شارع فؤاد الأول (أمام نادي محمد علي) الذى أصبح قصر ثقافة

الحرية بعد ذلك، والذي شهد ميلاد واجتماع كوكبة من مؤلفي الأغاني والشعراء والملحنين والأدباء.

وغنى عبدالحليم حافظ من تأليف محمد على أحمد "احتار خيالي" بالاشتراك مع شادية من تلحين السكندري حسين جنيد، و"لا تلمني" من تلحين كمال الطويل، و"أحن إليك" من تلحين محمد الموجي، و"لحن الوفاء" من تلحين رياض السنباطي. وأغنية "على قد الشوق اللي في عيوني" التي كانت سبب شهرته وانتشاره، وكلها كانت في فيلم "لحن الوفاء".

وغنت شادية في الفيلم أغنيتين من كلمات فتحي قورة هما: دويتو مع عبد الحليم "تعالِي أقولِك" من تلحين منير مراد. و"شبكت قلبي" من تلحين السكندري محمود الشريف.

ومن الأغنيات التي ألفها السكندري "محمد على أحمد" لعبد الحليم حافظ:

"فات الربيع" من تلحين السكندري أحمد صبرة، و"يوم وارتاح" من تلحين كمال الطويل وغيرهما.

كما ارتبط عبد الحليم في بداية حياته الفنية بالكثير من مؤلفي وملحني الإسكندرية، فغنى للملحن الكبير حسين جنيد الكثير من الأغاني منها: "أنا أهواك"، من كلمات فتحي قورة التي غناها بصوته فقط في فيلم "بائعة الخبز" مع المطربة برلنتي، و"بتقوللي إيه خلاني أحبك"

من تأليف أحمد حلمي، و"يا إله الكون" و"ذاك عيد الندى"، وهما من تأليف مصطفى عبد الرحمن.

وغنى عبد الحليم للملحن السكندري محمود الشريف أغنيتين هما: "حلو وكداب" في فيلم "موعدغرام" من تأليف مأمون الشناوي، و"يا سيدي أمرك" من تأليف فتحي قورة، من أغاني فيلم "ليالي الحب"، وغنى قصيدة "العهد الجديد" للشاعر السكندري الكبير محمود عبد الحي، ومن تلحين عبد الحميد توفيق زكي. واشتركت معه في الغناء عصمت عبد العليم. واشترك عبد الحليم في غناء الأوبريت الغنائي "يا ناكر المعروف" من تأليف "إبراهيم رجب على"، ومن تلحين السكندري أحمد صبرة.

ومن الملاحظ أن عبد الحليم تخلى عن كوكبة المؤلفين الذين أسهموا في صنع اسمه في أول حياته: سمير محجوب وأمام الصفطاوي وإبراهيم رجب، ومن السكندريين محمد على أحمد الذي كانت أغنيته "على قد الشوق" سبب شهرته العريضة، التي كانت وش السعد عليه، وأحمد السمرة، والدكتور يوسف عزالدين عيسى، ومحمود عبد الحي، وتخلى كذلك عن الملحنين الذين ساندوه في مستهل حياته أمثال: عبد الحميد توفيق زكي، وعلي فراج، ورءوف ذهني، ومن السكندريين: محمود الشريف وخليل المصري، وحسين جنيد، وأحمد صبرة، فمنذ عام ١٩٦٠ اعتمد على مجموعة من المؤلفين والملحنين ليس فيهم مؤلف أو ملحن سكندري واحد .

وأعتقد أن الكثيرين فعلوا هذا، فقد حكى لي ممثل سكندري، ساند ممثلا سكندريا أصبح نجما كبيرا بعد ذلك، قال لي:

- إن هذا الممثل كان يقف تحت بيتي، وينتظرني حتى أرتدي ملابسي، ولقد قدمته للمخرج نور الدمرداش الذي أعطاه دورا مهما في مسلسل تليفزوني مشهور وتلقفته السينما فأعطاه المخرجين أدوارا صغيرة، وسرعان ما كبر، وتهافتت السينما عليه، وكنت مرشده وناصحه لسنوات طويلة.

وقد أحب الممثل السكندري (النجم) راقصة مشهورة في ذلك الوقت، وكاد يتزوجها، لكن صديقي الممثل نصحه بألا يتزوج الآن؛ وإلا عطله الزواج عن الانطلاق والتقدم، فتنكر لهذه الراقصة، حتى أنها ذهبت إلى دكان والده في حي الورديان بالإسكندرية لتشكوه له.

نسي هذا الممثل صديقه وأستاذه القديم، الذي عاونه ووقف بجانبه، وانقطعت صلته به. وعندما سألته: ماذا كنت تريد منه؟

قال لي: أن يقترح اسمي للمخرجين والمنتجين الذين يعمل معهم.

قد تكون هذه سنة الحياة، وأن عبد الحليم حافظ أبقى على بعض من بدأوا معه المشوار الطويل أمثال: الموجي والطويل وغيرهما، فقد رأى أنهما على درجة عالية من الفن بحيث لا يستطيع الابتعاد عنهما.

ويحكون أن عبد الحليم حافظ كان يمثل في عام ١٩٥٥ فيلمين في وقت واحد: "أيامنا الحلوة" و"لحن الوفاء"، واضطر أن يجلس على قهوة بلدي، قريبة من محطة السكة الحديد في القاهرة، فقابل مرسي

جميل عزيز وكان يعرفه فهو بلدياته (من الشرقية)، فعاتبه مرسي لأنه لا يهتم به ولا يغني له، فقال له عبد الحليم:

– أنا مقدرش أقول أسمر يا جميل يا أبو الخلاخيل ومكاحل مكاحل، والحاجات اللي بتكتبها لعبدالعزيز محمود .

فقال له مرسي جميل عزيز: أنا عندي كل حاجة، إنما بدي (أعطي) كل واحد لونه.

وأخرج من جيب الصديري اليمين أغنية "يا قلبي خبي"، ومن الجيب الشمال "الحلو حياتي وروحي"، فأعجب بهما عبد الحليم، وقال له:

– حاخدهم وإن لم يعجبا المخرج أو المنتج سأشتريهما منك.

وبالفعل غناهما عبد الحليم في فيلم "أيامنا الحلوة"، وكان هذا بداية اللقاء بينه وبين مرسي حميل عزيز الذي عاش في الإسكندرية بعض السنوات، وبعد رحيله، وسمي أحد الشوارع في محطة الرمل باسمه.

المطربة فاطمة سري

البطلة الحقيقية لفيلم فاطمة لأم كلثوم

مجتمع ما قبل ثورة يوليو ٥٢، كان يبدي اهتماما عاليا بالفوارق بين الطبقات، خاصة في مسألة الزواج. فيهمه أن يتم الزواج بين أفراد الطبقة الواحدة المتجانسة. ويطلقون على المولود الذي يأتي نتيجة التزاوج بين أفراد طبقتين مختلفتين؛ لفظ "بزرميط"، وتحول ذلك الوصف إلى سب ولعنة. فلو قالها فرد لآخر، قامت الدنيا وربما حدث قتيل وأكثر.

تناول المجتمع حكاية الصراع بين الشيخ على يوسف – من جهة – وأسرة الشيخ السادات ومعه الكثير من الشعب المصري، لأن الشيخ على يوسف الذي ينحدر من أصول فقيرة، قد تجرأ وخطب ابنة الشيخ السادات الذي ينتمي لأسرة عريقة ذات جاه قديم. وفرق القاضي الشيخ أبو خطوة بين الزوجين لأن على يوسف كان فقيرا، وغناه الحالي لا يمحو عار فقره القديم (هذا ما قاله الشيخ أبو خطوة في أحد أسباب رفض الزواج)، وذكر توفيق الحكيم في روايته الرائعة عودة الروح البدوي الذي يريد أن يقتل فلاحا، لأنه جريء وتجاسر وجاء ليخطب ابنته.

واهتمت أفلام كثيرة جدا بهذه المسألة، منها: ليلى بنت الفقراء، أول فيلم يخرجه أنور وجدي، وليلى بنت الأكابر وهذا جناه أبي وغيرها.

وتطلب أم كلثوم في عام ١٩٤٧ من مصطفى أمين أن يكتب لها قصة فيلمها الجديد. وحبسته في بيتها لحين الانتهاء من الكتابة، فتذكر حادثة هزت المجتمع المصري عامي ١٩٢٤ و١٩٢٥ وكتب عنها في كتابه مسائل شخصية. تذكر المطربة فاطمة سري، المرأة الجميلة الشهية التي دعتها صاحبة العصمة – هدى شعراوي – إلى حفل في قصرها، فغنت:

بدال ما تسهر على قهوة
تعالى نشوي أبو فروة
بيتك مع عيلتك أولى من لعب الطاولة

ما غنته فاطمة سري يتفق مع ما تنادي به هدى شعراوي من الاهتمام بالأسرة المصرية، فقد نادت برفع السن الأدنى للزواج للذكور والإناث، وسعت لوضع قيود للطلاق من طرف واحد والحد من ظاهرة تعدد الزوجات، وأيدت تعليم المرأة وعملها المهني والسياسي، ودعت إلى خلع غطاء الوجه وقامت بخلعه علنا وأمام الناس.

أعجب الكثير بما غنته المطربة فاطمة سري، لكن محمد باشا – ابن هدى شعراوي – أعجب أكثر بجمالها، فاقترب منها وصافحها، وبعد صد طويل منها، تمت العلاقة بينهما وتم الزواج العرفي. أعطاها ورقة يعترف فيها بإنها زوجته. لكن طليقها أحس، فأخذ ولديه منها، وثار

وسب فاطمة سري. فانتشر الخبر، ووصل إلى الصحفيين، فأحس الباشا محمد شعراوي بالخوف، فكيف سيواجه أمه، وهو يعرف أن زواجاً مثل هذا قد يميتها كمدا، فتقابل مع فاطمة سري وطلب منها أن ينهي هذه العلاقة، وكتب لها شيكا بمبلغ كبير جدا، لكنها ثارت ومزقت الشيك وداست عليه بقدميها، وأعلنت بأنها لا تريد من الدنيا سواه. فتراجع الرجل واعتذر لها، وقال إنه أيضا لا يستطيع أن يعيش بدونها.

وبعد أيام قلائل أحست بأشياء في جسدها توحي بأنها حامل، وأكد لها الطبيب هذا. كان الباشا محمد شعراوي حائرا بين حبه لفاطمة سري وضعفه أمامها، وبين تقديره لأمه وخوفه عليها من أن تؤثر فعلته هذه على صحتها. فكان متقلبا، إذا ابتعد عن فاطمة سري، يخطط للانتهاء من هذه العلاقة، وإذا تقابلا يبدي رغبته في أن يعيشا معا إلى الأبد. وفي محاولة من محاولاتها الكثيرة في إجهاض نفسها، كادت أن تموت؛ فأسرع محمد شعراوي إليها وجلس تحت قدميها ولكي يثبت لها حسن نيته كتب لها الإقرار التالي:

أقرُّ أنا الموقع على هذا محمد على شعراوي نجل المرحوم على باشا شعراوي، من ذوي الأملاك، ويقيم بالمنزل رقم ٢ بشارع قصر النيل قسم عابدين، إنني تزوجت الست فاطمة كريمة المرحوم "سيد بيك المرواني" المشهورة باسم "فاطمة سري" من تاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٢٤ ألف وتسعمائة وأربعة وعشرين أفرنكية، وعاشرتها معاشرة الأزواج، وما زلت معاشراً لها إلى الآن، وقد حملتْ مني مستكناً في

بطنها الآن، فإذا انفصل فهذا ابني، وهذا إقرار مني بذلك. وأنا متصف بكل الأوصاف المعتبرة بصحة الإقرار شرعاً وقانوناً، وهذا الإقرار حجة على تطبيقاً للمادة ١٣٥ من لائحة المحاكم الشرعية، وإن كان عقد زواجي بها لم يعتبر، إلا أنَّه صحيح شرعي مستوف لجميع شرائط عقد الزواج المعتبرة شرعاً.

محمد على شعراوي القاهرة في ١٥ يونيو١٩٢٥م

وأنجبت فاطمة سري من محمد باشا شعراوي ابنتهما ليلى، وعلمت الأم بالكارثة التي حلت بالأسرة العريقة، فحاولت رشوة الزوجة التي تمسكت بزوجها. فهددتها هدى شعراوي بأنها ستسلط عليها بوليس الآداب.

ذلك ما تذكره مصطفى أمين فكتب قصة فيلم "فاطمة"، وكان يجب أن يضيف إليه كلمة سري، ليعلم الجميع أنه يقصد علاقتها بالباشا ابن الباشا.

فاطمة في الفيلم ليست مطربة، وإنما ممرضة ذهبت إلى قصر باشا كبير لتعطيه الحقن وتشرف على علاجه. ذلك الباشا هو المقابل للسيدة هدى شعراوي. فرآها شقيقه الأصغر (فتحي)، فأحبها وزارها في بيتها المتواضع في أحد أحياء القاهرة الشعبية. وأنجب منها طفلا، لكن أخاه الكبير أجبره على التخلص منها وعدم الاعتراف بابنه.

كانت أم كلثوم تغني في الفيلم، وتعبر عما يجيش في صدرها غناءًا. وكانت فاطمة سري تغني أيضا تأثرا بالأحداث التي تمر بها، فعندما يتنكر الباشا لها تغني له:

أنـــــا بـــــس ســـــاكتالك

حايجيلـــك يـــوم طـــول بالـــك

لمـــا يـــروق عقلـــي وبـــالي

حايجيلـــــك يـــــوم تترجـــــاني

وأشـــــوف أنـــــا إزاي تنـــــساني

وأتقـــل عليـــك طـــول بالـــك

بكـره فـؤادك يتلـوع وأجيلـك أنـا واتـدلع

وتطلـب الوصـل، أتمنـع واتقـل عليـك

طول بالك.

تـصاعد الـصراع بـين المـرأتين هـدى شـعراوي التـي كانـت فـي ذلـك الوقت في الخامسة والأربعين وفاطمة سري كانت في العشرين تقريبا. لم تمر السنوات الثلاث على خلع هدى شعراوي لغطاء وجهها، ومطالبتها بحقوق المرأة، حتى وضعتها الأقدار في امتحان عصيب، فهاهي تظلم امرأة تزوجت وأنجبت من ابنها.

في الفـيلم يـستخدم الباشـا – شـقيق الـزوج – مالـه وجاهـه وسـلطانه للنيل من فتاة فقيرة، لم تخطئ. فيسرق العقد العرفي الذي وقعه أخوه، ويتهم الفتاة الشريفة في عرضها، نفس الذي فعله محمد شعراوي. فقد طلب من زوجته ورقة الزواج العرفي، فأعطته ورقة مصطنعة بالزنكوغراف.

وفي الفيلم يطالب الزوج (فتحي) بالورقة لإثبات حسن نية زوجته، فيأخـذ صـبي المحـامي – ابـن الحـي الفقيـر؛ الورقـة ويـذهب بهـا

للزنكـوغراف لكـي يـصنع ورقـة مثلهـا، لتقـدمها فاطمـة لزوجهـا، لكـن الزنكوفراجي، يأخذ الورقة الأصلية ويسلمها للباشا مقابل الثمن، ويسلم لفاطمـة الورقـة المـصطنعة، وعنـدما تقـدم للمحكمـة يكتـشف القاضـي التزوير.

لا شك أن مصطفى أمين كان يعرف الحقيقة. يعرف أن فاطمة سري قد أرسلت خطابا تستعطف فيه هدى شعراوي المدافعة عن حق وحرية المرأة:

"إنَّ اعتقـادي بـك وبعـدلك ودفاعـك عـن حـق المـرأة؛ يـدفعني إلـى التقـدم إليـكِ طالبـة الإنـصاف، وبـذلك تقـدمين للعـالم برهانـاً علـى صـدق دفاعـك عـن حـق المـرأة، ويمكنـك حقيقـة أن تـسيري علـى رأس النـساء مطالبة بحقوقهن، ولو كان الأمر قاصراً على لما أحرجت مركزك، فأنت أم تخافين على ولدك العزيز أن تلعب به أيدي النساء وتخافين على مستقبله من عشرتهن، وعلى سمعته من أن يقال إنَّه تزوَّج امرأة كانت فيما مضى من الزمـان تغنـي علـى المـسارحِ، ولـك حـق إن عجـزتِ عـن تقـديم ذلـك البرهـان الـصارم علـى نفـسك؛ لأنَّـه يـصيب مـن عظمتـك وجاهـك وشـرف عائلتـك، كمـا تظنـون يـا معـشر الأغنيـاء، ولكـن هنـاك طفلـة مـسكينة هـي ابنتي وحفيدتك، إنَّ نجلك العزيز، والله يعلم، وهو يعلم، ومن يلقي عليها نظـرة واحـدة يعلـم ويتحقـق مـن أنَّهـا لـم تـدنس ولادتهـا بـدم آخـر، والله شهيد، طالبت بحق هذه الطفلة المعترف بها ابنك كتابياً، قبل أن يتحوَّل عني وينكرها وينكرني، فلم أجد من يسمع لندائي، وما مطالبتي بحقها وحقي كزوجة طامعة فيما لكم، كلا!".

وتمهلها الزوجة المكلومة أسبوعا لا أكثر لكي تعود المياه لمجاريها، وإلا اتجهت إلى طريق آخر أكثر وعورة.

في الفيلم تخسر فاطمة القضية بسبب خيانة الزنكوغرافجي، لكن فتحي (الزوج) يكتشف أن فاطمة لا تستحق منه هذا، فهي أشرف من الفتاة التي يريد له أخوه أن يتزوجها، فيعود إلى فاطمة وإلى ابنه منها، ويعود إلى الحي الشعبي في زفة وتغني أم كلثوم "نصرة قوية".

لكن هدى شعراوي يستفزها تهديد فاطمة سري. فتنسى كل ما ادعته عن تحرير المرأة، فتعاديها في كل مكان تذهب إليه، لكن المحكمة الشرعية تحكم بنسب ليلى إلى والدها محمد باشا شعراوي. فتهدأ هدى شعراوي وترضى بالهزيمة، ولكي تكيد فاطمة سري؛ تصر على أن يتزوج ابنها من امرأة من أسرة عريقة، فينجب منها ثم يختلف معها ويطلقها، ويتزوج من راقصة اسمها أحلام ولكن بعد موت أمه محررة المرأة.

إلهام شاهين في مواجهة لا خيار لها فيها

استفزتنا إلهام شاهين بدفاعها العجيب عن حسني مبارك، دافعت عنه بعناد أكثر من درجة الدكتوراه الحاصل عليها مبارك في العناد، يقولون لها:

- إن فترة حكمه أضاعت منظومة التعليم.

تقول: لا، أولياء الأمور هم السبب لأنهم أنجبوا أكثرمن اللازم.

لقد أثرت ثورة ٢٥ يناير على الممثلين، فأدت الظروف السياسية والاجتماعية إلى تخفيض أجورهم إلى النصف، لكن كان لابد أن يكونوا موضوعيين، وأن يشاركوا الشعب مصابه، ويعترفوا بأن نظام حسني مبارك الفاسد أهدر قيمة مصر على كل المستويات؛ حتى على مستوى صناعة السينما التي كانت الصناعية الثانية بعد صناعة النسيج، فضاعت الصناعتين، وبعد أن كنا الدولة الرائدة في صناعة السينما على مستوى الشرق الأوسط، تحولنا إلى منتجين لأفلام سخيفة لا تهتم إلا بالإضحاك السفيه، ابتعد المنتجون الرواد أمثال: آسيا ورمسيس نجيب وبركات وماري كويني وغيرهم. ولم يتبق سوى الذين يدورون في فلك الاقتصاد الفاسد. وكان يجب أن تفضل إلهام شاهين مصلحة الوطن على مصلحتها الشخصية.

رغم هذا غضبتُ لتطاول بعض الشيوخ على الممثلين والممثلات، فقد أغراهم صعود تيار الإخوان والسلف، وأحسوا بأنهم ملكوا مصر بمن فيها، وسوف يحاكمون كل فئات المجتمع، وهذا ما حدث بعد نجاح ثورة يوليو ٥٢، فقد أحس الكثير من ضباط الجيش بأنهم امتلكوا مصر، وتعاملوا مع باقي الشعب على أنهم مميزين ولهم الأفضلية في كل شيء. وهذا ما يحسه – الآن – الكثير من التأسلمين، فقد وقفتُ أمام سيدة تبيع الفول والفلافل، وشاب ملتح يشتري منها ويعاملها بطريقة مستفزة، وبعد أن حمل أشياءه وسار بعيدا، قالت لي:

– هذا الشاب كان على خلاف معنا، وبعد أن فاز محمد مرسي، أطاح بنا، وهاج علينا، وأخذ يهدد ذاكرا أن محمد مرسي سينصره.

قد يكون هذا الشاب غير منتمٍ لأي حزب ديني، لكن إحساسه أن الإخوان والسلف قد فازوا في الانتخابات، شجعه على مهاجمة الناس وتحديهم.

تحدث عبد الله بدر الذي سب إلهام شاهين وكأنه مالك الكون، وعندما علم بأن رئيس الجمهورية سيتقابل مع الفنانين؛ غضب وخرج عن شعوره وقال محذرا الفنانين: لو انفجرنا لن يستطيع أحد أن يلمنا، وأعتقد أن هذا التحذير موجه للحكومة وليس للفنانين، فالذي في يده أن يلمهم لو انفجروا؛ الحكومة فهذا من صميم عملها، أن تلم الخارجين على القانون. هو والكثير من السبابين يتعاملون الآن من مركز القوة، فهم

يعلمون أن الفنانين ليس لديهم مليشيات تحميهم، ولا شباب تحت الطلب، يتصلون به ويحددون له الأماكن التي يجتمعون فيها.

وهذه التصرفات ستكشف حقيقتهم أمام رجل الشارع الطيب المخدوع فيهم، والذي يبسط الأمور، فيقول: "كيف لا أختار بتوع ربنا" كأن باقي المجتمع ليسوا بتوع ربنا.

وأعتقد أن أبسط أنواع الشعب المصري يرفض أن تُسب امرأة، وتُتهم بشرفها بهذه الطريقة البعيدة عن الدين والأخلاق والمنطق.

وإلهام شاهين سيئة الحظ، فكثير من الممثلين والممثلات يدافعون عن مبارك بإصرار وبطريقة غير مبررة، وربما بطريقة أكثر استفزازا من طريقتها، لكن عبد الله بدر اختارها هي ليهاجمها، وذلك ذكرني بحكاية تداولتها الأوساط الثقافية والأدبية في الإسكندرية عن إلهام شاهين.

فقد وافق اللواء محمد عبد السلام المحجوب – محافظ الإسكندرية في ذلك الوقت – على أن يقام مهرجان السينما تحت رعايته، وأشرك أديباً سكندريا (لا داعي لذكر اسمه) –كان رئيسا للجنة الثقافية بمجلس محلي المحافظة – في أن يكون عضوا في لجنة إعداد المهرجان.

وكانت الإقامة في أحد الفنادق السكندرية المشهورة. وتحرك صديقنا الأديب بخفة وزهو، وصادق الفنانين والنقاد المشاركين، ومنهم الناقد السينمائي الأمير أباظة. ودخل صديقنا في بذلته الأنيقة، وقال في كبرياء لموظفي الاستقبال:

– أمير فين

ولأنه تحدث بعشم شديد، ودون أن يسبق اسم الأمير لقب أستاذ، ظن موظفو الاستقبال أنه يقصد أمير شقيق إلهام – الذي كان صغيرا وقتذاك – فقالوا:

– في حجرة الفنانة إلهام شاهين.

فذهب إلى الحجرة، ودق الباب، فخرجت إلهام إليه، وسألها بنفس الطريقة التي سأل بها موظفو الاستقبال، فقالت:

– أمير في الحمام.

فهاج وصاح:

– لا، أنا ماسمحشي بكده، أنا حابلغ النيابة حالاً.

خاصة أن الأحداث تجري في مدينته الإسكندرية، وأنه ممثل المحافظة في المهرجان.

واجتمع الكثير من المشاركين في المهرجان، وإلهام شاهين مندهشة مما يحدث، أخوها الصغير يرافقها في المهرجان، ومن حقه أن يدخل الحمام في أي وقت.. وبالطبع تم طرد زميلنا الأديب من فعاليات المهرجان بالكامل، وأدت هذه الحادثة إلى نهايته السياسية، ففقد عضويته في المجلس المحلي، وكان الحزب الوطني يعده لكي يكون عضوا بمجلس الشعب، واضطر أن يبتعد عن النشاط السياسي كله.

شفيق جلال.. وموال الصبر

تأثرت وأصدقائي في أواخر الستينيات بما يفعله السيد الملاح، كان يقلد الفنانين بمبالغة شديدة، فأغضب كل من قلده، فاضطر فريد الأطرش أن يقابل وزير الإعلام ليشكوه له، فقد كانت الحفلات التي يعرض فيها سيد الملاح تقليده، تابعة للدولة. وأجر محمد عبد المطلب فتوات لضربه، بينما صعد شفيق جلال على المسرح وقت عرض الملاح لنمرته، وداعبه، وتظاهر بأنه سيضربه، ثم قال للجمهور: إنني لست حزينا أو غاضبا من تقليده لي. فإن لم أكن أستحق التقليد.

كنا نضحك كثيرا من طريقة تقليده، رغم إشفاقنا على من يقلدهم.

موال الصبر

نبهنا سيد الملاح لشفيق جلال عندما قلده، وكنت أعرفه من خلال الأفلام التي ظهر فيها، خاصة أغنيته "بنت الحارة" المؤثرة والجيدة في فيلم ريا وسكينة، من إخراج صلاح أبو سيف، وقت قتل الراقصة زينات علوي.

كان شفيق يغني أغنية سكندرية عن الصبر، أغنية ولدت ونمت وتكونت في سجن الحضرة، إذ كان المسجون يصيح داخل زنزانته المغلقة: يمسيكم بالخير يا ورد على فلة.

فيجيبه المسجون الآخر: يخرب عقول اللي حجبوك عنا.

ومن هنا بدأ موال الصبر: يا خوخ خانونا الحبايب وإحنا لم خنا. يا عنب عابوا فينا القرايب وإحنا ما عبنا.

غني هذا الموال الشيخ أمين عبد القادر مطرب الإسكندرية المشهور، ومنه انتقل إلى الكثير من المطربين، لكن السيد الملاح كان يجسم القول ويكبره، فيقول يا بطيخ بطخونا الحبايب. يا جرجير جرجرونا القرايب، وينظر وهو يغني إلى خاتم في إصبعه الصغير، ساخرا من خاتم شفيق جلال الذي يحرص على لبسه في كل حفل.

علاقة شفيق جلال بوالده

في ١٠ إبريل ١٩٢٩ أحست أم شفيق وهي فتاة في الثالثة عشرة من عمرها، أحست بآلام شديدة في ساقها اليسرى. ويقولون إن الجنين قد سقط برأسه في ساقها الشمال. فكانت تصيح: اقطعوا رجلي علشان أرتاح من الألم.

فاستدعوا طبيبا مشهورا ودفعوا له خمسة جنيهات كاملة. فأنقذ الأم. وولدت طفلها الذي أتعبها في الثالثة والنصف صباح يوم ١٢ إبريل ١٩٢٩.

نزل الطفل إلى الدنيا كقطعة قماش سوداء وقال الطبيب الكبير لو مر أسبوع على هذا الولد سيعيش، ولو عاش أطلقوا عليه اسمي، فسموه شفيقا على اسم الطبيب.

ولد شفيق جلال عبد الله حسن البهنساوي في حي الدرب الأحمر –كان وحيد والديه. وحدث شقاق بين الأم والأب أدى إلى الفراق بينهما. فعاش بين بيت أمه وبيت والده. ذلك الخلاف والتشتت أدى به بألا يكمل تعليمه.

يتحمس والده لغنائه ويشجعه، فيأخذه وهو في التاسعة من عمره إلى كازينو بديعة مصابني، ليغنى أمام الجمهور مونولوجات سيد سليمان ومنها مونولوج كان مشهورا جدا وقتذاك. بعنوان "العبيط":

مين زيي في نباهتي وشياكتي وأبهتي

الله يخللي بابا وماما وستي وخالتي

يحترف شفيق جلال الغناء في عام ١٩٤٢، ويغني أول أغانيه يا عم يا جمال يا شايل الأحمال من تلحين نجيب السلحدار.

وفي عام ١٩٤٤ يتقدم المحامي سيد وهبي – صاحب سينما الحلمية – للانتخابات البرلمانية واستخدم سينماه للدعاية الإنتخابية. فذهب شفيق ووالده إليه. فقال عامل السينما للجمهور:

– فيه مطرب حايغني، لو عايزينه حانخليه، مش عايزينه حانطرده.

فغنى أغنية من أغنيات محمد الكحلاوي، وغنى موال فصاح الجمهور عاليا:

– عايزينه. عايزينه.

فوافقوا على أن يغني في حفلتين لمدة أسبوع يعني ١٤ حفلة.

وانتشر شفيق جلال، وقدمه جلال محمود متعهد الحفلات المشهور في الكثير من الكازينوهات حتى وصل أجره لثلاثين جنيها في الشهر.

وكانت هناك مجلة اسمها الصباح لصاحبيها مصطفى وعبد الشافي القشاش. وكان فيها باب "تعارف الشباب". فأرسل والده صور وبيانات عن ابنه. وفوجئنا بمئات الرسائل من شباب البلاد العربية يطلبون صداقته. فيرد والده على خطاباتهم بأن يكتبوا لعبد الوهاب وأم كلثوم ومصطفى رضا مدير الإذاعة. مطالبين أغاني شفيق جلال.

كيف عمل شفيق في السينما؟

بينما كان يعمل في روض الفرج جاءه صديقه عبده شيكو قائلا:

– أنت فين ده محمود ذو الفقار جه قهوة السلام وسأل عليك، عايزك تشتغل معاه في فيلم.

لم ينم من الفرحة. وفي الصباح بحث عن محمود ذو الفقار في فيلا زوجته عزيزة أمير، ثم في استوديو جلال، حيث يصورون فيلم "البني آدم" لإسماعيل يس.

قال لمحمود ذو الفقار: أنا شفيق جلال.

– مين شفيق جلال؟

– سيادتك سألت عليه في قهوة السلام علشان أشتغل معاك في السينما.

– أنا ما أعرفش قهوة اسمها السلام.

قال والده لمدير استوديو جلال متوسلا: خليهم يسمعوا صوت ابني.

فيقول المدير: ما تجربوه، ممكن يغني في فيلم عودة طاقية الإخفاء.

وتسمع عزيزة أمير صوته فتعجب به كثيرا. وتقول: تعالى بعد بكرة.

فيقول الأب في أسى: حانقعدوا من غير أكل لبعد بكرة؟!

فيتأثروا بكلامه ويتفقوا معه على الغناء في ثلاثة أفلام. أولها عودة طاقية الإخفاء. وتذيع الإذاعة أغاني الفيلم، لكنهم ذكروا اسمه خطأ.

فيقول الأب: روح لهم في الإذاعة واطلب أن يصححوا الاسم.

كيف غنى في الإذاعة؟

يذهب شفيق للإذاعة لكي يصححوا الاسم فيجد مصطفى رضا – مدير الإذاعة نازلا على السلالم، فيحيه، ويقول له: أنا شفيق جلال.

فيقول الرجل في اهتمام شديد: أنت شفيق جلال إللي المستمعين دوشنا بيك؟! تعالى معايا.

ويطلب حافظ عبد الوهاب قائلا له: أهو يا سيدي شفيق إللي المستمعين بيلحوا عايزين يسمعوا أغانيه.

فقد نجحت خطة والده، بأن حرض المستمعين الشباب بالإلحاح في المطالبة بسماع صوته.

يستمع مصطفى رضا وحافظ عبد الوهاب لصوته ويتم اعتماده مغنيا على الفور. ويغنى من ألحان عبد الرءوف عيسى: وينك يا المحبوب.

وقد كتب على التركي أغنية يا عم يا بنا لمحمود شكوكو، ويلحنها محمد الشاطبي. لكن عند تسجيلها في أسطوانة يحدث عيبا فنيا يفسد التسجيل، فيطلبون من شفيق جلال أن يغنيها، فيغنيها وتشتهر حتى أن الشعب كله كان يغنيها معه.

عبد الحليم حافظ يأتي فيقضي على جيل شفيق جلال

يظهر عبد الحليم حافظ، فيسطع نوره ويخبو نور الكثير ومنهم شفيق جلال. ويتغير الحال، فتسود الرومانسية التي يغني بها عبد الحليم ويتراجع شفيق لخطوات. حتى أصبح مهملا. ففي حفلات أضواء المدينة، يطلب التلباني أن يظهر قبله، ويوافق المسئولون، وتطلب نجوي فؤاد أن ترقص قبله، فيظهر على المسرح قرب الفجر، بعد أن يكون الكثير قد عادوا إلى بيوتهم.

ويقنع شفيق بنصيبه. لكن حدث حادث مفاجئ غير كل شيء. فقد أعلنت أضواء المدينة عن حفل لعبد الحليم ومعه أحمد غانم وغيرهم من الفنانين. لكن عبد الحليم تأخر، وأحمد غانم لم يأت. وكان شفيق جالساً وسط الجمهور كمستمع ليس ألا. ولما لم يجدوا أحدا، طلبوا منه أن يغني. فغني موال الصبر لأول مرة. وإذ بالجمهور يصيح

معجبا. كان في الحفل ٨٠٠٠ مشاهد. الكل صفق وطلب إعادة الغناء لمرات عديدة. ومن يومها بدأ نجم شفيق في الظهور من جديد، فغني شيخ البلد وأمونة، وجاء عبد الحليم واحتضنه وقبله وقال له أبدعت.

ويبدأ الاهتمام بالغناء الشعبي من هذه اللحظة. فيغني عبد الحليم موال الصبر أهو داب. ويغنى ماهر العطار أفرش منديلك عالرملة، وأيوه يا واد خدت الأمورة. وظهر محمد رشدى فغني وهيبة وعدوية ويغني محمد العزبي بهية. وسادت الأغنية الشعبية.

شفيق وعلاقته بابنه

تعاقدت عزيزة أمير معه على ثلاث أفلام بدأها بعودة طاقية الإخفاء.

وبعد صحوته الغنائية وعودة الشهرة إليه اختاره حسن الإمام ليقوم بدور شلبي زوج في فيلم خللي بالك من زوزو. ونجح في أداء الدور فتعاقدوا معه على التمثيل في: بمبة كشر وحكايتي مع الزمان ومين يقدر على عزيزة وحافية على نهر الذهب وبديعة مصابني وإلى المأذون يا حبيبي وغيرها من الأفلام.

وأحس شفيق أن المخرجين يختارون له أدوار الرجل الشرير الذي يعمل في أعمال مشبوهة. فتذكر ابنه الوحيد جلال الذي ضحى بكل شيء من أجله، فقد اختلف مع زوجته وانفصلا وعمره شهرين. فلم يتزوج من أجله. وأصبح ابنه عالمه، قد يضحي بسفرية ستحقق له شهرة ومال وفير إذا تعارضت مع مصلحة ومستقبل ابنه. يتذكر شفيق والده

الذي ضحى من أجله بالكثير، فيطلق اسمه على ابنه. ويفعل معه ما فعله والده.

كان جلال في ذلك الوقت قد وصل للثانوية العامة في دراسته، وأدرك شفيق بخطورة ما يفعله مخرجو السينما به، فكيف يراه ابنه في هذه الأدوار، فاجتمع بالمخرجين في بيت حسين كمال، وقال إنه لن يمثل إلا دور الرجل المستقيم الخير من أجل ابنه.

وغنى شفيق جلال في الكثير من المسلسلات الإذاعية منها: أجدع جواز في العالم. الحرافيش وعودة ريا وسكينة. عواد وحش الجبل، وشارك بالغناء في الكثير من الصور الغنائية منها:

سوق بلدنا نون النسوة، سهرة في حي السيدة الرجل السعيد، اشهد يا زمان، عالزراعية، مكسب حلال وغيرها.

ومات في ١٩ مارس سنة ٢٠٠٠

حب رامي والقصبجي لأم كلثوم

من خلال أغنية "يا قلبي بكرة السفر"

استمعتُ إلى تسجيل نادر للسيدة أم كلثوم لأغنيتها الجميلة والصعبة على كل المغنيين سواها: "يا قلبي بكرة السفر"، وذلك من خلال البرنامج الإذاعي القديم "من تسجيلات الهواة"، وقد غنتها أم كلثوم عام ١٩٣٧ في قاعة "إيوارت" بالجامعة الإمريكية.

قدمتْ هذا التسجيل صديقة أم كلثوم السيدة "عبدية عبد الله"، وقد قام الملحن الجميل "عمار الشريعي"، بتنقية الصوت وتجميع الأسطوانات الشمعية لتخرج الأغنية بصورة جيدة. قام الشريعي بهذا العمل لمدة تزيد على الست ساعات. ودار حديث قصير بينه وبين المذيعة "مشيرة كامل" قبل إذاعة الأغنية، حكت فيه عن قيامه بهذا العمل وكأنه "جواهرجي" يرفع تراب الزمن المتراكم على قطعة من الماس، فأكد الشريعي على قولها، وأضاف بأنه أحس وكأنه جراح يعيد النبض إلى قلب هذا العمل، وهو خائف عليه وكأنه قطعة منه. فكل من في هذا التسجيل أحبابه وناسه، أم كلثوم وما لها من قدسية في نفوسنا، ورامي الحبيب إلى قلبه، والقصبجي الذي وصفه بأنه عمنا وأبونا ومربينا، فقالت له مشيرة كامل:

– أحس أنه له عندك معزة خاصة.

فقال: أي حد بيحب الموسيقى لازم يحب القصبجي.

ست ساعات وكأنهم ست دقائق، رغم الخوف على التسجيل، يحس بالسعادة والمتعة وهو يعمل، وطوال الوقت يقرأ الفاتحة إذا ما سمع غناءً عبقريا من أم كلثوم، أو جملة جميلة من رامي، أو قطعة موسيقية من القصبجي، أو عزفاً رائعاً من أحمد الحفناوي على الكمان، أو من عبده صالح على القانون. يحس أنه محضون بأحبابه وأهله، والده وجده وباقي ناسه.

كما أن اللحن فتح مبين للإذاعة، وربما للثقافة والموسيقى العربية كلها. فمعلوماتنا أن القصبجي لم يلتق بأم كلثوم بلحن كبير في قدر "رق الحبيب"، التقى معها في أعمال صغيرة مثل "صباح الخير ياللي معانا"، لكن أول مرة يعرف الشريعي أن لحناً بهذه الجودة وهذا القدر كان بين أم كلثوم والقصبجي، قد يفوق لحن أغنية رق الحبيب. ولحنه لها قبل رق الحبيب بثلاث سنوات.

تسأل مشيرة كامل: اللحن بدأ بمقام "الرصد"، لكن فيه مقامات كثيرة أخرى.

فيقول الشريعي:

– بعد إذاعة هذه الأغنية في برنامجك هذا، أرسل لي صديق رسالة على " الإميل" قائلا بالحرف الواحد:"مش أنت عمار الشريعي تقدر تقوللي الأغنية دي من مقام إيه؟!"

القصبجي في هذا اللحن عامل زي الإكسبريس الذي لا يقف على محطات، هو حر، منطلق، عمري ما شفته منطلق هكذا، سايق بلا فرامل، سايب نفسه في حالة وجدانية وحسية عالية جداً ما بيفرملش بيعمل إللي هو عايزه. ناسي الجمهور، لا يتذكر أمامه سوى أم كلثوم، وهو يعلم أنها ستغني أي شيء يفعله، ولو حط عفاريت في اللحن ستؤديه. سايب نفسه لدرجة لا تستطيعين أن تحكمي منطق مقامي لمدة دقيقتين، يبتدي في حتة، ويروح لحتة تانية، عمال يتنطط، عمل تحويلتين جوه الغنوة مش متعودين عليهما، ولم يتكررا بعد ذلك. مقامين مش قرايب، لكن عمل كوبري، زرق إزاي مش عارف، الله يسامحه عمنا القصبجي دوخنا وراه تحليلا ودراسة.

قالت المذيعة مشيرة كامل:

- القصبجي بيستعرض في قدرته على الانتقال من مقام لآخر ببراعة شديدة جداً هل يستطيع ملحن آخر أن يفعل هذا؟

فيقول الشريعي في حماس شديد:

- لا والله ولا حد من جيله، لا عبد الوهاب ولا السنباطي، ده راجل مفتري. يعني قاعد مش فارقة معاه حاجة خالص، رق الحبيب شفت ناس بيغنوها، لكن هذه الأغنية "يا قلبي بكرة السفر"، أزعم أن مافيش حد يقدر يغنيها إلا أم كلثوم.

تذكرت الملحن السكندري محمد أبو سمارة، الذي مات دون أن يأخذ حقه مثل الكثيرين من فناني الإسكندرية، كان يغني على عوده

أغاني من تلحين القصبجي في قاعة من قاعات قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية، وتوقف عن الغناء والعزف فجأة وقال:
– أفضل من طور في الموسيقى في مصر سيد دويش والقصبجي.

ودهشت لقوله – وقتها – فقد قرأت كثيراً عن سيد درويش، وعن تطويره للموسيسقى وأطلقوا اسمه على مسارح وقاعات كثيرة، وأنتجوا فيلماً عن حياته، لكن القصبجي أول مرة أسمع عنه هذا الكلام.

وعندما شاهدت فيلم "عايدة"، وسمعت ألحانه الجريئة والجديدة التي كانت سبباً في عدم نجاح الفيلم، أدركت مدى تطور هذا الرجل العجيب، الناس في ذلك الوقت لم يستطيعوا احتمال تطور بهذا القدر، وتعاملت معه أم كلثوم على أنه سبب فشل فيلمها.

وتسأل مشيرة كامل:
– هذه الأغنية غنتها أم كلثوم لأول مرة عام ١٩٣٥، لكن هذا التسجيل كان في عام ١٩٣٧،أترى أن هذه أفضل فترة غنت فيها أم كلثوم.

فيجيب: الثلاثينات والأربيعينات أفضل فترة في جمال صوت أم كلثوم، قطرة من قدرة الله، ربنا حط نقطة كده من قدرته قال لها: خدي أنت والباقي لأ.

كتب أحمد رامي "يا قلبي بكرة السفر"، عندما علم أن أم كلثوم ستساقر للمصيف إلى رأس البر، ياه، وستغيب شهر أو شهرين، فاعتبر أن هذا عذاب لقلبه فكيف سيستطيع البعد عنها كل هذه الأيام، فكتب:

يا قلبي بكرة السفر ونغيب عن الأوطان
وتطول ليالي السمر في البعد والأشجان

وإزاي أشـــــوف القمـــــر   مـــن غيـــر حبيـــب قلبـــي

مـــا يكـــون قريـــب جنبـــي

والنـــــسمة تـــــسري وتتـــــألم

واحنا ساكتين والروح على الروح بتسلم

والعـــــين فـــــي العـــــين

ما الذي حدث؟!، ستغيب أم كلثوم عن القاهرة بضع أسابيع، لكن بالنسبة لرامي والقصبجي هذا شيء لا يطاق، فيقول لقلبه: ".. ونغيب عن الأوطان"، كأن رأس البر خارج مصر، تذكرت الفتاة التي كانت تلبس نظارة وتقص شعرها كأنها ولد، وعملت في شركتنا مدة قصيرة، كانت رومانسية، ومثقفة، تجلس بجواري في سيارة الشركة التي تمشي على البحر من المنتزه حتى الشاطبي، وتصر على الجلوس بجانب النافذة لتشاهد البحر، قلت لها يوما:

– إنني لا أحب الحب الذي يبديه رامي لأم كلثوم، ففيه خضوع وضعف.

فقالت ببساطة شديدة:

– أم كلثوم لا تُحب إلا هكذا.

لقد أحب رامي أم كلثوم، وأحبها القصبجي العظيم وكانت قيثارته التي يعزف عليها ألحانه، لكنها حرمته من العزف عليها لسنوات طويلة جداً مكتفياً بالعزف خلفها على العود لألحان من صنع موسيقيين بعضهم أقل من قدراته وموهبته، لكن حبه العجيب لها يجعله لا يستطيع البعد عنها.

يقولون: إنه في بداية أربعينيات القرن الماضي، صدرت جريدة أخبار اليوم بعنوان رئيسي "زواج أم كلثوم من محمود الشريف" — فانقلبت الدنيا، ومما تأثر بهذا أثنان: محمد القصبجي الذي حمل مسدسه وهجم على سكن أم كلثوم غاضباً، وأطلق رصاصة في الهواء، مما اضطرت أم كلثوم أن تطلب له البوليس، وتم تصفية الموضوع، وبسبب هذا لم تتعاون معه في أي أغنية بعد ذلك، واكتفت بأن يمسك لها الفرقة التي تصاحبها في الغناء، ويعزف على العود خلفها.

أما أحمد رامي فقد قرأ الجريدة وهو يرتدي البيجامة ويلبس الشبشب، ففتح باب شقته، وهو مازال يقرأ الجريدة، وربما لم يغلقه خلفه، وسار في الشارع هكذا وكأنه منوم مغناطيسيا، ثم ركب الأتوبيس الذي سينقله إلى مكان سكن أم كلثوم، وفوجئ بالكمساري ينظر إلى ملابسه مندهشاً؛ وقتها أدرك أنه من هول الصدمة لم يغير ملابسه، وسار بالبيجامة والشبشب.

بين كاميليا وحبيبة مسيكة



ميلاد كاميليا وحبيبة مسيكة

ولدت ليليان فيكتور كوهين، (وشهرتها الفنية كاميليا) في ١٣ ديسمبر ١٩١٩ بحارة اليهود التابعة لحي الجمرك بمدينة الإسكندرية. لأم مصرية تمتلك شقة حولتها لبنسيون لتعيش من إيراده. أقامت الأم علاقة مع أحد سكان البنسيون، وحملت منه بإبنتها ليليان، لكنه هرب منها وعاد إلى بلده إيطاليا، فانتقلت المرأة لأحضان نزيل آخر من نزلاء بنسيونها استطاعت أن تقنعه بأن يتزوجها وأن ينسب ابنتها إليه وأن ينفق عليها.

عاشت كاميليا في أسوء حالة يمكن أن تعيشها فتاة. فيحكي أحد مخرجي السينما بأنه رآها في أحد الأسانسيرات قبل أن تشتهر وتغتني، وكانت "الخياطة"، واضحة في ملابسها المهترئة. وتسببت حالة الفقر هذه بآلام في صدرها وسعال، حتى حذرها الأطباء، بأنها لو أهملت حالتها سيتحول المرض إلى سل لا علاج له.

وولدت الفنانة التونسية حبيبة مسيكة في عام ١٨٩٦ بحارة اليهود بمدينة "تستور" بالشمال الغربي لتونس التي تعتبر أحد معاقل

الطائفة اليهودية هناك. أطلقت عليها أسرتها التي تعاني الفقر اسم مارجريت، وألحقتها بمدرسة الطائفة الإسرائيلية بحارة الحفصية، لكنها لم تواصل تعليمها، وتركت الدراسة وعملت مع والدها في دكانه. تعلقت مارجريت أكثر بأسرة أمها، فقد كانت خالتها ليلى سفيز تجيد غناء الأدوار الكلاسيكية وتعزف على البيانو بمهارة، فعلمتها العزف على البيانو. ودعتها للعمل في كازينو صغير تمتلكه، كما أن خالها "خيّلو" كان ماهرا في العزف على آلة الكمان، فعلم ابنة أخته بعض الأدوار وقدمها في الحفلات التي كان يقيمها في بيوت وجهاء المدينة. واضطرت مارجريت لحاجتها إلى المال أن تغني وترقص في الحانات، وأطلقت على نفسها اسم حبيبة.

كاميليا وحبيبة مسيكة في طريقهما للشهرة والمال

في مدينة تستور تعرفت حبيبة مسيكة على شاب يهودي مثلها اسمه لياهو ميموني. كان تاجرا ثريا. فانفق عليها بسخاء. وطلب منها أن تعيش معه في تستور، لكن شهرتها كانت قد سبقتها إلى مدينة تونس، وجاءها المتعهدون عارضين عليها مبالغ طائلة لتغني في محلاتهم المشهورة هناك. فسافرت إلى تونس العاصمة.

كما أن كاميليا تركت الإسكندرية وسافرت إلى القاهرة للبحث عن المال والشهرة. تعرفت على المخرج أحمد سالم في صيف ١٩٤٦ بفندق وندسور، وكانت تعلم إنه لا ينتهي من قصة غرام؛ حتى يُسرع للانتقال إلى أخرى، فطلبت منه أن تشاهد العرض الخاص لفيلمه الجديد " الماضي المجهول". فأعجب بجمالها وقدمها للوسط السينمائي،

فظهرت عام ١٩٤٧ في فيلم القناع الأحمر مع فاتن حمامة وبشارة واكيم من إخراج يوسف وهبي.

نجاحها في هذا الفيلم شجع المخرجين والمنتجين للبحث عنها. فظهرت في أفلام كثيرة منها: الكل يغني مع أميرة أمير وفتنة مع يحيى شاهين ومحمود إسماعيل وخيال امرأة مع كمال الشناوي وإسماعيل يس ومثلت مع محمد فوزي الروح والجسد وصاحبة الملاليم بالاشتراك مع شادية. وفيلم أرواح هائمة مع أحمد علام ولولا صدقي، ومثلت مع كمال الشناوي وإسماعيل يس فيلم شارع البهلوان، وآخر أفلامها المصرية كان آخر كدبة مع سامية جمال وفريد الأطرش ومثلت في فيلم أميركي اسمه "الطريق إلى القاهرة"، وقدمت مسرحية واحدة باسم خطف مراتي.

بينما قدمت حبيبة سميكة أغاني: على باب دارك، والربيع منور، ويا محلا الفسحة، وهونت راسي للسهرة، وعليا وهبالي، ومن وسط قلبي. وأصبحت مشهورة على مستوى البلاد العربية كلها، وبعض دول أوربا، فقد سافرت كثيرا إلى فرنسا، وكانت شديدة الإعجاب بالممثلة الشهيرة سارة برنار وشاهدت الكثير من مسرحياتها، وهذا جعلها تسعى لتكون ممثلة مسرحية مثلها. فتعرفت بجورج أبيض، ومثلت بعض المسرحيات معه. وقد أقبل الشعب التونسي عليها، فقد جمعت بين جمال الخلقة وجمال الصوت وبراعة الأداء. فغنت ورقصت ومثلت. وعملت مع فرقة المستقبل لمحمود بورقيبة المسرحي التونسي الكبير – شقيق الرئيس التونسي الأسبق – وكانت تغني باللهجة التونسية والشامية.

وغنت مالي فتنت بلحظك الفتان من تأليف على الجارم وتلحين صبري النجريدي، وكانت من أوائل ما غنت أم كلثوم وغنت باللهجة المصرية طلعت يا محلى نورها، وزوروني كل سنة مرة لسيد درويش. وغنت أغنية سبق أن غنتها المطربة المصرية سمحة البغدادية:

على سرير النوم دلعني
جاني الحليوة العصرية
وجاب لي بيرة وشمبانيا
شرب وفرفشني شوية
وعلى سرير النوم دلعني
بوسته كمان أنا في خده
يا محلى جماله وقده
ونمت أنا على صدره
وعلى سرير النوم دلعني
عطف عليه بجماله
يا محلى غمزه وهزاره
سبته يعمل
وعلى سرير النوم دلعني

وعن شهرتها في ذلك الوقت يقول الموسيقار الدكتور محمد القرفي: لم تكد تبلغ سن العشرين حتى

صــار لهــا صــيت فــي دنيــا الــرقص والغنــاء، وأصــبحت تــتحكم في قلوب المولعين بحياة الليل والفرجة.

كونــت حبيبــة ســميكة ثــروة كبيــرة جــدا، أهلتهــا لكــي تكَــوَّن حــرس خــاص لهــا ســمي بــ"عــسكر الليــل"، ليحموهــا مــن أعدائها ومنافسيها.

كما استطاعت كاميليا أن تجمع خلال خمس سنوات ثروة لا تقدر. فقد أقامت علاقات غرامية مع الكثير من الأغنياء والساسة، منهم السيد اللوزى، صاحب مصانع الحرير بالقاهرة، الذي قدمها لمجتمع الساسة والأثرياء، ثم قدمها بوللى للملك فاروق وقيل إن العلاقة بينها وبين الملك استمرت أربع سنوات.

وتشترك حبيبة سميكة مع كاميليا بأن كلا منهما كانتا على صلة بالمخابرات الصهيونية. فقد ساهمت حبيبة في المساعدة على ترحيل يهود تونس إلى فلسطين، ومدت كاميليا إسرائيل بالأسرار التي يبوح بها الملك فاروق في انفرادها به، وقت الحرب بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٨.

نهاية مأساوية لليهوديتين

كنت كاميليا تعاني من آلام في صدرها، فقد عاودها مرضها القديم الذي لازمها أيام الفقر. بعد أن أفرطت في شرب الخمر والتدخين. فاتصلت بأحد الأطباء الكبار في سويسرا فحدد لها موعدا

للفحص، لكنها لم تجد مكانا في الطائرة، وشعرت بالخيبة وكادت تعود إلى بيتها، لكن الكاتب الكبير أنيس منصور، أضطر أن يؤجل سفره بعد أن حجز تذكرة السفر؛ لمرض أمه المفاجئ، فكانت تذكرته من نصيب كامليا.

انفجرت الطائرة التي تركبها كاميليا فور إقلاعها من مطار القاهرة في طريقها إلى سويسرا بالقرب من الدلنجات – بحيرة، واحترقت بكل ما فيها، وتفحمت جثث الركاب، ولم يتبق من كاميليا الجميلة سوى حذاء ساتان أخضر بلون الفستان الذي كانت ترتديه وقت ركوب الطائرة. ماتت ليليان فيكتور كوهين (الاسم المكتوب على قبرها)، في ٣١ أغسطس ١٩٥٠.

أما الفنانة التونسية حبيبة مسيكة فقد عادت مساء يوم الاثنين ٢٠ فبراير ١٩٣٠من سهرتها في بيت العائلة الإسرائيلية لومبروزو، بعد أن ودعت معجبيها. وصعدت إلى شقتها، كانت وحدها في بيتها الكبير الذي يشبه القصر، ونامت بعد وقت قصير بينما كان حراسها (عسكر الليل) بعيدين عنها.

كان الياهو ميموني اليهودي مثلها، وعشيقها السابق قد هددها أكثر من مرة، لأنها تركته وعاشرت غيره رغم كل ما قدمه إليها، لم تكن تخافه، وكانت تستخف بتهديده. فحراسها(عسكر الليل)، قادرون على قتله قبل الوصول إليها، لكنه استطاع التسلل إلى حجرتها، فقد قابلها كثيرا في هذا البيت، ويعرف كل مداخله. تركها حتى استغرقت في النوم

وألقى عليها جالون بنزين، وأضرم النار في جسدها مباشرة، وعندما استيقظت وحاولت الفرار، دفعها إلى النار، ثم هرب وعاد إلى الفندق الذي يعيش فيه في العاصمة تونس.

انتقلت حبيبة سميكة إلى المستشفى وتعذبت وعانت حتى ماتت يوم الجمعة ٢٤ فبراير ١٩٣٠ وخرج الآلاف لوداعها، وتم دفنها في مقبرة بورجل.

إلى الآن لم يحسم الخلاف في أسباب موت كاميليا، فالبعض يرى أن الملك فاروق كان وراء الحادث الغامض، بعد أن تأكد أنها خانته وعادت إلى أحمد سالم غريمه، كما أنها خدعته ونقلت ما كان يحكيه لها لمخابرات إسرائيل، وآخرون – ومنهم أنيس منصور – يرون أن إسرائيل وراء قتلها لإخفاء سر علاقتها بهم.

وكذلك الوضع مع حبيبة مسيكة، فهناك من يرى أن قتلها كان أمرا حتميا لعلاقتها الواضحة مع المخابرات الصهيونية، وأن الياهو ميموني كان مجرد أداة للتنفيذ. وآخرون يرون أن منافساتها في تونس أمثال: فضيلة حتمي وشافية رشدي؛ كن وراء قتلها، بعد أن تفوقت عليهن. وصارت أهم منهن جميعا. فاستأجرن الياهو ميموني الذي كان يعاني من حالة احتياج مالي شديدة، بعد أن أنفق على حبيبة كل ما يملك. فقام بقتلها.



رحيل أسمهان وشبيهات صوتها

هناك أصوات حالمة مغردة مثل صوت المطربة أسمهان، صوت له صفات خاصة، يفرض نفسه على مستمعيه، أو كما يقول الفنان عمار الشريعي: "يشفط" الهواء حوله، ولا يجعلك تشرد في شيء غيره. صوت يجمع بين البهجة والحزن معاً. ذلك الحزن سمة تصاحب أصحاب هذه الأصوات وترافقهم إلى أن يموتوا .

لقد ماتت أسمهان (رائدة هذه المجموعة من الأصوات المغردة) في حادث غامض يوم ١٤ يوليو عام١٩٤٤قبل أن تنتهي من تصوير فيلم "غرام وانتقام". وعمرها لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمرها، وانتشرت الشائعات، بأن المخابرات الإنجليزية هي التي قتلتها لتعاونها مع المخابرات الألمانية، ومن يقول إن المخابرات الألمانية هي التي قتلتها فبعد تجنيدها لصالحهم، اكتشفوا أنها خدعتهم وكانت تتعاون مع القوات الإنجليزية أيضا، وانتشرت شائعة أكثر اتساعاً من الشائعتين الأخريتين؛ خاصة لدي العامة، بأن أم كلثوم هي التي قتلتها، لأنها لم تستطع احتمال منافسة صوت بقوة وجمال أسمهان. المهم أن أسمهان ماتت في عز شبابها، وهكذا ماتت كل الأصوات المشابهة لصوتها.

سبحان الله، ما هو السر في ذلك؟!

لقد كتبتُ من قبل عن دكتورة متخصصة، تحدثت في برنامج تليفزيوني فذكرت أن للأماكن تأثيرا على ساكنيها. فقد تسبب قطعة أرض – مقام عليها عمارة – الأمراض لساكني العمارة. وفي الريف والأحياء الشعبية يتحدثون كثيرا عن هذا، فيقولون: "إن هذا البيت عتبته (حلوة)"، بمعنى أن ساكنيه قد اغتنوا بعد السكن فيه، وآخر عتبته (وحشة)، بمعنى أن ساكنيه حدث لهم مكروه بعد أن انتقلوا إلى هذا السكن الجديد، وأعرف دكاكين كلما استأجرها مؤجر يفشل في تجارته، حتى أغلقت وخاف الناس من استئجارها.

وكتبتُ عما ذكره أبو فرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" عن إبراهيم بن المهدي الذي أرجع سوء حظه، وما لاقاه من مآسٍ إلى اسمه إبراهيم، حتى قال لأخيه هارون الرشيد – خليفة المسلمين:

– وما رأيتُ والله أحداً بهذا الاسم إلا قُتل أو نُكب، أو رأيتهُ مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً.

هل يمكن أن تكون طبيعة الأصوات، مثل الأماكن والأسماء، سبباً في إسعاد أو شقاء أصحابها؟

لقد ألحت أسمهان على يوسف وهبي ممثل ومخرج فيلم "غرام وانتقام" بأن تأخذ إجازة قصيرة، لتستحم في مياه رأس البر، واضطر أن يوافقها، رغم حاجته للوقت لينتهي من تصوير الفيلم، وماتت في سيارتها في الريّاح التوفيقي ما بين ميت غمر وأجا، وهي في طريقها لرأس البر. ماتت ولم تشهد الفيلم ولم تكمل تصويره.

المطربة جيهان

كان من المقرر أن تقف أسمهان أمام المحققين وتشهد لصالح يوسف وهبي الذي ذهبت إليه لتنتقم منه لقتله حبيبها؛ فأحبته، وأن ينتهي الفيلم نهاية سعيدة – كالعادة – ويتزوجها يوسف وهبي، فبحثوا عن فتاة تشبهها في الشكل والصوت، ووجدوا الفتاة "سارة أحمد مسعود"، وهي من أصل تركي حباها الله برقة وبصوت ملائكي قريب الشبه بصوت أسمهان، وكانت قد قدمت برنامج "عذراء الربيع"، واختاروا لها اسم "جيهان" فظهرت فى الفيلم من تصوير خلفي وجانبي، وهى تحكي للمحققين أول الفيلم عن حادث مقتل أنور وجدي وعدة مشاهد ربط أخرى تم تصويرها من الخلف أو من بعيد. وقد وضح في الفيلم أنها أقل حجماً وطولا من أسمهان، وحذف يوسف وهبي الجزء الباقي الذي كان مقرراً أن تترافع فيه أسمهان أمام المحكمة، وينتهى الفيلم بزواجه منها، وفضل أن ينهيه وقد جن بسبب موتها، وقضى باقي عمره في مستشفى المجانين.

واشتهرت "جيهان" بأغنية "هيا إلى المروج" من تلحين محمود الشريف. وقامت بالبطولة الثانية في فيلم "السجينة رقم ١٧"، من إنتاج ماري كويني في أغسطس ١٩٤٩.

لكن سوء حظ الأصوات المشابهة لصوت أسمهان ؛ طاردها في عنف فقد اختارها الأستاذان حافظ عبدالوهاب وعبدالوهاب يوسف

لبطولة برنامج غنائي اسمه "غروب " من تلحين أحمد عبد القادر، فذهبت إلى التسجيل وهي مريضة، لكنها عاندت نفسها وأصرت على التسجيل وربما أخفت حقيقة مرضها للعاملين معها، ذهبت لكي تسجل البرنامج ودرجة حرارتها فوق الأربعين، دخلت الاستوديو في "شارع علوي" الذي كان مزدحماً بالممثلين وأفراد الكورس، فضلاً عن فرقة التخت الشرقي، كان كارم محمود يغني معها. واندمجت في العمل، فظلت واقفة من التاسعة صباحاً حتى العاشرة مساءً والحمى تسري في عروقها، وبعد انتهاء التسجيل نقلت بعربة الإسعاف إلى المستشفى ورحلت في السابع من سبتمبر عام ١٩٤٩ وكان هذا البرنامج؛ غروب حياتها أيضا، وسبب موتها ولم تستمع إليه.

المطربة نادية فهمي

كنتُ في طفولتي مولعاً بمتابعة الأفراح التي تقام في شوارع وحواري حينا، فأقف لمتابعتها للصباح، حيث لم يكن يُسمح للأطفال بالجلوس على المقاعد في هذه الأفراح. فاسمع أغنية تغنيها النساء في كل الأفراح تقريباً :

عرفت كتير ما حيرنيش   غيرك أنت وغلبني
أبوس النار ما تحرقنيش   أبوس خدك يلهلبني

لم أكن قد سمعت هذه الأغنية في الراديو من قبل، واكتشفتُ أن الممثلة هند رستم غنتها في فيلم "الجسد" من إخراج حسن الإمام. واكتشفت أيضا أن المغنية الحقيقية للأغنية هي "ثريا عبدالعزيز فايد"

التي اشتهرت باسم "نادية فهمي"، وغنت في نفس الفيلم أغنية "ياللي ما تعرفش اسألني أنا".

وشاركت فريد الأطرش في غناء أغنية "قسمة مكتوبة" بدلا من مريم فخر الدين التي كانت ترقص معه، وتغني بشفتيها فقط، في فيلم "رسالة غرام"، وغنت مع فريد الأطرش أيضاً "أنا وأنت وبس".

صوت مغرد قريب الشبه بصوت أسمهان. وقد غنت مع عبد الحليم حافظ أغنية الفجر بدا من كلمات مرسي جميل عزيز ومن تلحين محمود الشريف وغنت مع عبد الحليم حافظ أيضا أغنية "أنت حبي" كلمات محمد جلال الدين وألحان عبد الحميد توفيق زكي، مما جعل الأستاذ محمد التابعي الذي كان مجنوناً بحب أسمهان، يكتب في أخبار اليوم مرشحاً نادية فهمي لبطولة الفيلم الذي سينتج عن حياة أسمهان. لكن سوء حظ أسمهان وشبيهاتها في صوتها؛ طارد نادية فهمي أيضا. ففي مايو ١٩٥٩ قامت برحلة فنية للترفيه عن الجيش في منطقة فايد القريبة من الإسماعيلية، حملت سيارة الجيش الفنانين محمد رشدي ونادية فهمي والراقصة سلوى المسيري ونجوم برنامج ساعة لقلبك والفرقة الموسيقية التي رافقتهم في إحياء الحفل. وفي الطريق، طلبت نادية من المطرب محمد رشدي أن يغير مكانه معها لتستطيع أن تنام، وتم التغيير بالفعل، وإذ بعربة لوري محملة بأنابيب البوتجاز تصطدم مع سيارة الجيش، فتبتر ساق نادية فهمي، وتموت على الفور هي والراقصة سلوى المسيري، وتكسر ساق محمد رشدي ويظل في العلاج لمدة عامين تقريباً. ويعيش بساق صناعية مدى حياته.

المطربة نازك

صوت آخر يشبه إلى حد كبير صوت أسمهان، جاءت هذه المرة من لبنان، هي "هيبت محمدالحسيني" ينتهي نسبها إلى أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام. واشتهرت باسم "نازك"، غنت أغاني كثيرة من تلحين كبار الملحنين، فغنت لفريد الأطرش "ما تقولش كنا وكان"، وغنت لمحمد فوزي "كل دقة في قلبي بتسلم عليك"، ومن شدة نجاح الأغنية، تم تصوير فيلم على اسمها لمحمد فوزي وسامية جمال، واشتركت نازك في بطولته، وغنت مع محمد فوزي أغنية عن الأم أيضا. ولحن لها رياض السنباطي ومحمود الشريف وأحمد صدقي، وغيرهم، وغنت في حفلات على مستوى البلاد العربية؛ أغاني أم كلثوم، لكن لعنة صوت شبيهات أسمهان طاردتها أيضا، فقد سافرت إلى لبنان، واستشهدت في الحرب الأهلية هناك.

إسماعيل ياسين المفترى عليه

تغلغلت السينما في حياتنا كلها، فكنا نقلد الأفلام التي نشاهدها، ونعيش في داخل الشخصيات السينمائية، فيقول الولد الصغير لزميله:

– يقدر أبوك يغلب فريد شوقي؟

كان فريد شوقي بالنسبة لنا رمزا للقوة. يتمنى كل منا أن يصير والده في قوته، وأن نكون مثله عندما نكبر. وأحببنا إسماعيل ياسين الذي ولد بمدينة السويس في ١٥ سبتمبر ١٩١٢، وجاء إلى القاهرة وعانى طويلا لكي يحقق حلمه بأن يكون ممثلا ومغنيا مشهورا. وشاهدنا ونحن صغار يس إسماعيل ياسين، في شاطئ كامب شيزار؛ قريباً جدًا من مسرح والده بالإسكندرية، كان الطفل يس في حراسة شاب أخرس (بودي جارد)، فاقتربنا منه في الماء فرحين لأننا نرى ونلمس ابن إسماعيل ياسين الذي نعشق أفلامه.

بعد أن كبرنا؛ فكرنا من جديد في موقفنا من إسماعيل ياسين، نمط الأداء شديد الفقر، يرتكز على المبالغة والإكثار من حركة الجسم وبأسلوب غير موضوعي في النطق. وتأثرنا بكلام بعض الرافضين له، فأذكر أن المخرج أحمد كامل مرسي في حديث تليفزيوني، قال إنه لا

يمثل، وتحدث عنه بالتقليل من شأنه كممثل. وكثيرون تحدثوا عنه هكذا، لكن إسماعيل ياسين ظل كما هو، الأيام تجعلنا نتعلق به أكثر.

ويرى الناقد محمد عبدالفتاح في كتابه إسماعيل ياسين (مهرجان القاهرة ١٩٩٧) إنه بعث من جديد بعد أن اختفى تماما في أواخر الستينيات، وذلك من خلال التليفزيون وإقبال متفرجي التليفزيون لأفلامه.

والحديث الذي كان يدار ويدعو للسخرية؛ في حجرات مبني الإدارة في الشركة التي كنت أعمل بها؛ عن زميل لنا طويل وعريض، ويشغل وظيفة رئيس قسم، كان يغيب عن العمل كل يوم خميس، من أجل أن يشاهد أفلام إسماعيل ياسين التي تعرض في القناة الثانية في ذلك اليوم. وكان غيابه يسبب له مشاكل في العمل، وعند خروجه على المعاش لم يصرف بدل نقدي للإجازات التي لم يقم بها، مثل غيره من موظفي الشركة، فحبه لأفلام إسماعيل ياسين، جعله لا يفكر في مثل هذه الأشياء.

يحكي أصدقائي الذين حضروا حرب اليمن، إن القوات المسلحة المصرية، كانت تقيم شاشة كبيرة في الخلاء، وتجمع اليمنيين، فيجلسون متراصين، ويعرضون لهم أفلام إسماعيل ياسين، فيتابعونها في صمت، وكانوا سعداء به، ويحاول بعضهم تقليده.

إسماعيل ياسين من الفنانين الذين حققوا شعبية لمصر بين البلاد العربية، وكانوا سببا في انتشار فن السينما المصرية بين العرب، لدرجة أنها سميت بالسينما العربية.

وقرأتُ كتاب الصديق عبدالغني داود "مدارس الأداء التمثيلي في تاريخ السينما المصرية" الصادر عن سلسلة "آفاق السينما"، فساءني ما كتبه عن إسماعيل ياسين. وقابلته في معرض الكتاب الدولي في القاهرة بعدها، ولمته على ذلك. فرد الصديق محمود قاسم قائلا: "لازم تقراه بعقلك وليس بقلبك".

وأنا أرى أن إسماعيل ياسين تقرأه بقلبك أولا، بل إن معظم أفلام السينما المصرية القديمة يرفضها العقل، وقد سمعت المخرج الكبير كمال الشيخ يتحدث عن السينما المصرية، فقال: "إن عددا كبيرا من أفلامها كان يفتقد المنطق".

وقرأت ما كتبه عبدالغني داود عن إسماعيل ياسين ثانية، فاكتشفت أن الهجوم على إسماعيل ياسين ليس هجومه هو، فقد استعان بما قاله النقاد عنه. بدأ بأحمد عبد العال "مجلة الفنون": {.. وهو لا يكتفي بذلك، وإنما يعول على تشوه خلقي – الحركة المألوفة التي كان يؤديها، ويكثر فيها مستخدما فيها ضخامة فمه وكأنه يعوض بها النقص في الموهبة وضعف الأداء}.

وما قاله سامي السلاموني: {إن كوميديا إسماعيل ياسين هي كوميديا التخلف والبلاهة، وأنها دلالة على تخلف جمهور السينما الذي يضحك على أشياء كهذه تحمل اسم ما أطلق عليه بالمضحك البدائي}.

بعد أن كبرنا وزادت الهموم، لم يعد في الإمكان مشاهدة إلا الأفلام الكوميدية خاصة أفلام نجيب الريحاني وإسماعيل ياسين.

إنني أمسك مؤشر التليفزيون، وأدعو الله أن أجد فيلماً لنجيب الريحاني، أو لإسماعيل ياسين، وهذا ما قاله لي الصديق سعيد سالم. قال:

– إنني لا أشاهد إلا الكوميديا .

وسمعت الدكتور عزت أبوعوف يقول في حديث تليفزيوني:

– إنني أشاهد فيلما لإسماعيل ياسين قبل أن أنام. وذلك لأنام في هدوء.

وأعتقد أنني في حاجة إلى هذا، لكي لا تطاردني الكوابيس .

أكتب هذا بعد مشاهدة مسلسل عن حياة إسماعيل ياسين في التليفزيون الذي كان يعرض طوال شهر رمضان، وحرصت على مشاهدته بشغف، وبكيت في حلقته الأخيرة التي كان يعاني فيها إسماعيل ياسين من قلة الدخل، واضطر أن يعود إلى ما بدأ به في حياته الفنية؛ وهو إلقاء المنولوجات في الكازينوهات. لقد مات بالقاهرة في ٢٤ مايو ١٩٧٢ مقهورا محسورا، ولم تكرمه الدولة مع أنها كرمت من هم أقل منه شأنا، لم تطلق اسمه على مسرح من مسارحها، حتى مسرحه في كامب شيزار بالإسكندرية، سمي باسم رجل أعمال اشترى العمارة، وحرص على إعادة إقامة المسرح فيها، وكان الأجدى لو أعاد اسم إسماعيل ياسين على المسرح الذي عمل عليه لسنوات طويلة، وكان سبب فقد مدخراته وشقائه.

مصير أمثال تحية كاريوكا

حكى لي عم آدم – الذي كان يسكن الحجرة الوحيدة فوق سطح بيتنا – عن "شويحة" العربجي الذي كان يسكن شارع (٨) بحي كرموز. وأنه تزوج تحية كاريوكا في بداية حياتها لكنها هربت منه وعملت راقصة.

و"شويحة" ليس اسمه الحقيقي، لكنه صفة لعينيه اللتين "تشوحان" كثيرا. كان عم آدم يعمل عربجي حنطور، و"شويحة" عربجي كارو، فيتقابلان على قهوة العربجية في أول شارع إيزيس، ويتقابلان كل مساء لدى العلاف الذي يشتريان منه "عليق" حمار "شويحة"، وحصان عم آدم، فيتحدثان معاً بالساعات، يحكي "شويحة" عن زوجته تحية الجميلة التي تحبه كثيرا وتساعده في تجهيز العربة والحمار، وتقبيلها له أمام أهل الحارة، وتلويحها له قبل أن تدخل باب البيت.

سألت عم آدم:

– هل رأيت تحية هذه من قبل؟

قال: لا، لكنني أصدق "شويحة"، فقد بكى بالدموع عندما هربت منه، وقال لي: "أولاد الحرام حرضوها ضدي، وجعلوها تكفر بحياتي وتهرب".

قلت له:

- إن كاريوكا من الإسماعيلية وليست من الإسكندرية، وما قرأته عن حياتها يتعارض مع ما تقوله.

فكان يقسم بأغلظ الإيمان بأن كل العربجية في حي كرموز يعرفون حكاية تحية كاريوكا مع "شويحة"، وكونها من الإسماعيلية لا يتعارض مع ما أقوله عن زواجها بـ"شويحة"، فقد تكون قد هربت من الإسماعيلية وتزوجت منه.

ومازالتْ هذه الحكاية تتردد في الأحياء المحيطة بشارع ٨ المشهور جدًا في كرموز، فقد حكي لي عمي هذه الحكاية، ومازال أبناؤه يحكونها للآن، ويفخرون بأن والدهم كان يعرف أول أزواج تحية كاريوكا.

وحكت هذه القصة لي؛ امرأة - لم تلتق يوما بعمي ولا بعم آدم - مؤكدة أن والدها - الذي كان يمتلك محلاً لبيع العلافة -كان يعرف "شويحة" هذا، وكان يأتي إلى دكانه كل مساء ممسكا بحماره ليشتري له طعامه، وأن والدها يعرف حكايته مع تحية كاريوكا، وكان يحكيها لهم كثيراً.

وقد كتب محمد مستجاب (الأديب الكبير) في عدد تذكاري (١٠٠ سنة سينما) من مجلة الهلال- يناير ١٩٩٥. عن تحية كاريوكا، التي رفضت أن تدخل فراشه إلا بعد صنعت له كوباً من الشاي الثقيل المحوج بالجنزبيل.

كانت مقالة مستجاب عبارة عن حلم لم يتحقق له، كشف فيها عن إعجابه بكاريوكا كأنثى قبل أن يعجب بها كممثلة وراقصة.

وحكى لي ابنه محمد بأن إعلامي سأل كاريوكا عما كتبه مستجاب عنها، وسألها:

- تعرفيه؟

قالت: مش فاكرة، فأنا تزوجت كثيرين.

أعجبتُ كثيرا بتحية كاريوكا (المولودة في الإسماعيلية يوم ٢٢ فبراير ١٩١٥)، فهي إنسانة في تصرفاتها، فقد ناصرت المظلوم طوال حياتها، ووقوفها مع عبد الحليم حافظ والموجي في بداية حياتهما الفنية معروفة، ويتحدثون عنها كثيرا، فقد غنى عبد الحليم حافظ في عام ١٩٥٢ أغنية "صافيني مرة"، على المسرح القومي بكورنيش بحر الإسكندرية، لكن الجمهور رفض الأغنية وطلب منه أن يغني أغاني عبد الوهاب، وعندما أصر عبد الحليم على أن يغني أغنية من أغنياته؛ سبوه وضربوه بالبيض والطماطم، فخاف المتعهد عبد العال صديق (وهو- أصلا - تاجر أخشاب في باب سدرة)، أن يحطم الجمهور المسرح والآلات الموسيقية فطلب من عبد الحليم أن يخضع لرغبة الجمهور ويغني ما يريدون، لكنه أصر أن يغني "صافيني مرة"، من كلمات سمير محجوب وتلحين محمد الموجي، فطرده المتعهد هو والموجي، وكانت تحية كاريوكا ترقص ضمن برنامج الحفل، فتعاطفت مع عبد الحليم والموجي، وتشاجرت مع المتعهد وأصرت على ترك الحفل، ودعت عبد الحليم والموجي إلى شقتها بالإسكندرية، وطلبت منهما أن يؤديا الأغنية التي كان سيغنيها عبد الحليم على المسرح القومي، فغنى عبد الحليم وعزف الموجي على العود، ودفعت لهما كاريوكا ما كان سيدفعه المتعهد لهما.

وحكايتها مع المطرب محرم فؤاد معروفة أيضا. وقد حكي لي عنها أحد الأصدقاء، قال:

كنا نتقابل كل مساء في قهوة بميدان التحرير، وجاءنا محامٍ من معارفنا يبحث عن مطرب يقبل أن يغنى في حفل بمبلغ قليل، حيث إنه سيهدي الفرقة إلى صديق يحتفل بعيد ميلاد ابنه الوحيد. وقال:

– اتفقت مع مغنية وعازف أكورديون وطبال، ولسه المغني.

كان محرم حسين يأتي كثيرا إلى القهوة ويجالسنا أحيانا، فانتظرنا قدومه في تلك الليلة. وعندما جاء؛ عرضنا عليه الفكرة فقال:

– ادفعوا نصف جنيه زيادة، لأنني سأذهب إلى الحفل بتاكسي.

وأصر المحامي على موقفه، وقبل محرم.

كان ذلك الحفل فاتحة خير لمحرم حسين، الذي أصبح محرم فؤاد بعد ذلك.. فقد حضر عبد الرحمن الخميسي الحفل بصفته أحد معارف صاحب الحفل. فأعجب بصوته وأعطاه "كرتا"، وطلب منه أن يأتي باكر إلى مكتب المخرج بركات، حيث سيكون الخميسي موجودا ليعرضه عليه.

بعد أن اشتهر محرم فؤاد أعجبت به كاريوكا، وطلبت منه أن يغير طريقة حياته وأن ينسى أصدقاءه القدامى. ففعل ما أوصته به، فابتعد عن رواد القهوة، ولم يعد يمازحهم ولا يجالسهم كما كان.

وأرادت نجوى فؤاد أن ترقص قبل موعد غناء محرم فؤاد في حفل أضواء المدينة، وأذعن محرم لها وكاد أن يذهب بعيدا عن المسرح ليترك الفرصة لها لكي ترقص. لكن كاريوكا – التي كانت ترافقه كثيرا وقتذاك؛

وقفت وصاحت بها غاضبة، فخافت نجوى منها، وقالت مسرعة لمحرم فؤاد:

– ادخل أنت المسرح قبلي.

وتزوجته كاريوكا. لكن الزواج لم يدم طويلا. ومن خلال هذه العلاقة استوحوا فكرة فيلم "سلاسل من حرير".

أعرف حكايات كثيرة عن إنسانية كاريوكا وشهامتها، لكنها عاشت حياتها كما تهوى وتحب، تزوجت كثيرا جدا، ويشاع كثيرا عن علاقتها بالملك فاروق، وإنها بعد لقائها به، قالت إنه ليس قويا في مسألة الجنس.

وكثيرا ما أبُدي رأيي في هذه النماذج المشابهة لتحية كاريوكا، الشخصيات المحسنة للآخرين، التي تتعامل مع الناس بشفقة وحنو، وتكون في نفس الوقت عاصية لله، فأقول عنها، بأن الله – غالبا – ما يحسن خاتمتهم، فالمهم هو معاملة الناس، فالدواوين ثلاثة؛ ديوان لا يغفره الله وهو الشرك به، وديوان لا يترك الله منه شيئا هو ظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لا محالة.. وديوان لا يعبأ الله به شيئا، هو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن الله، عز وجل، يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء.

وقد كتبتُ عن شخصية من هذه الشخصيات في روايتي "الجهيني"؛ بخيت الحلواني الذي كان يمتلك دكانا في الحارة، وقال لي:

– الملك فاروق، هو الرجل الوحيد الذي تعامل مع النساء أكثر مني في مصر.

كان يعمل في محل حلواني كبير في محطة الرمل، ويأتي في المساء محملا بالخبز الفينو المضفر، والجاتوه، وباقي أنواع المخبوزات التي تصنع في المحل الكبير الذي يعمل به. فيعطي لنساء الحارة، كان عطوفا عليهن، ورقيقا في تعامله مع سائر البشر هناك، وكانت خاتمته حسنة، فقد فَقَدَ دكانه، ولم يجد مأوى له، بعد اختلافه مع زوجته وأسرته، فذهب إلى مسجد الشيخ إبراهيم عبد الباعث القريب من حينا، وعاش فيه، ورأيته في آخر أيامه بلحية بيضاء وهو ينظف دورات المياه هناك.

وأمثلة كثيرة مشابهة لا داعي لذكرها الآن، ولنعود إلى تحية كاريوكا، فقد اختار الله لها نهاية حسنة، ليجزيها عما قدمته للناس من حنو وعطف ومآزرة. اتصلتْ بالشيخ الشعراوي في آخر أيامها، وواظبت على الصلاة وحفظ القرآن، وقامت بتربية فتاة يتيمة، وسمعتها تقول عبر التليفزيون ما معناه:

– لو عاد بي الزمن ما كنت فعلت ما فعلته، ولاكتفيت بحياة هادئة، زوجة تربي أطفالها.

وماتت موتة هادئة في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٩.

هذه فكرتي عن العصاة الذين ينحازون للناس، ويعطفون عليهم ولا يضروهم، وقد تكون خاتمتهم أفضل من خاتمة شخصيات متشددة، دأبت على التظاهر بالتدين.

الربط بين الحقيقة والخيال في السينما والمسرح

يحكـون أن عزيـز عيـد – المخـرج المـسرحي الكبيـر قـد أاختار فاطمة رشدي – التي لم تكن قد مثلت من قبل – لبطولة مسرحيته "القرية الحمراء"، ويوم العرض، حضرت أمها، وجلست في الصف الأول بجوار محمد تيمور وأمين صدقي.

وصاح عزيز عيد وهو يرتدي الملابس الريفية: يا سماء أرعدي.
وخرج صوت فاطمة مشروخا ومتقطعا أول الأمر:

– أرجوك يا عمدة، أرجوك يا عمدة.

– اقتربي يا فتاة، اقتربي مني.

– أنا فتاة مسكينة.

وازداد صوته علوا: اقتربي يا بنت.

وبكت فاطمة، اندمجت في الدور:

– أرجوك، إنني خائفة من عينيك.

– اقتربي.

ونظرت فاطمة إلى الجمهور وصاحت:

– أرجوكم، أحموني من هذا الرجل.

ووقفت أم فاطمة رشدي وسط المشاهدين، وصاحت:

– جننت يا رجل، تطارد فتاة صغيرة في سن بناتك؟!

ضحك المشاهدون ووقف بعضهم من شدة التأثر، وأسرع أمين صدقي إلى محمد تيمور:

– الحق هذه المرأة قبل أن تفسد كل شيء.

وسأل عزيز عيد فاطمة بصوت خافت: من هذه؟

قالت فاطمة بنفس نبرة التمثيل وبصوت مرتفع سمعه كل المشاهدين:

– إنها أمي، أمي.

كانت مندمجة في الدور؛ فلم تستطع الخروج منها، فزاد هذا الصالة ضحكا وسخرية مما يحدث، واقترب عزيز من حافة المسرح وصاح بالأم:

– اهدئي يا سيدتي، إننا نمثل، ما ترينه الآن تمثيلا وليس حقيقة.

وقالت فاطمة بعد أن استعادت نفسها:

– اهدئي يا أمي ولا تخافي، إننا نمثل.

وجلست المرأة وجلس المشاهدون واستمر العرض.

هذا الخلط بين الحقيقة والخيال يحدث كثيرا، فقد حكي الممثل الراحل حسن عابدين بأنه في إحدى المسرحيات، كان عليه أن يتلقى طعنة بالخنجر من ممثل – زميل له – وحضرت أمه العرض المسرحي، فإذ بها تصرخ وتصيح وتولول من أجل أبنها الذي طعن بخنجر أمامها.

ويحكون أن المخرج السوري الأمريكي العالمي الراحل مصطفى العقاد قد أقام في أحد فنادق طرابلس بليبيا، استعدادا لإخراج فيلم "الرسالة" عن الرسالة النبوية التي جاءت بالإسلام، وكان يفكر بمن يقوم بدور وحشي الذي ستستأجره هند بنت عتبة لكي يقتل لها حمزة – عم الرسول – في غزوة أحد، وبالصدفة رأي أمامه شاب أسود، جسده ضخم وقريب جدا من الشكل الذي تخيله لـ"وحشي" فاستدعاه وقربه منه، وسأله عن اسمه، فقال:

– اسمي سالم القدرة.

وعرض عليه أن يمثل دور وحشي. فتردد الشاب، وقال:

– أنا لست ممثلا، أنا أعمل فني كهرباء بالفندق.

فطمأنه المخرج الكبير، بأنه سيجعله يمثل باقتدار، وتم الاتفاق، ومثل سالم القدرة بإتقان شديد. وعندما شاهدت أمه الفيلم، غضبت عليه، وطردته من البيت.

أخذ يقسم لها بأنه لم يقتل الحمزة حقيقة، وإنما قتله في السينما فقط، يعني الموضوع كله تمثيل في تمثيل، لكن الأم لم تقتنع، وأصرت على طرده من البيت ووصمته بالكفر، وأنه لم يتمكن من العودة إلى المنزل ومصالحة أمه إلا بعد أن استعان بشيوخ دين وإناس معروفين من المنطقة، حيث أقنعوها بأن ابنها لم يقتل الحمزة عم الرسول، وأن ما شاهدته على الشاشة مجرد تمثيل.

والممثلة زيزي البدراوي ظهرت في أول أدوارها على الشاشة عام ١٩٥٩ في فيلم "إحنا التلامذة"، من إخراج عاطف سالم، قامت فيه بدور ابنة الطباخ (شفيق نور الدين) الذي يعمل في فيلا أسرة غنية مكونة

من التاجر الكبير فؤاد شفيق وزوجته ميمي شكيب، وابنهما الشاب يوسف فخر الدين، وقد استعان الطباخ شفيق نور الدين بابنته زيزي البدراوي لكي تعاونه في العمل بالفيللا، فحدث بينها وبين يوسف فخر الدين لقاء، أدى إلى أن حملت منه، وماتت في عملية الإجهاض.

أدت زيزي البدراوي الدور بإتقان. وكانت قد سبقتها نادية لطفي عندما قامت ببطولة فيلم "سلطان"، من إخراج نيازي مصطفى عام ١٩٥٨. ومثلت سعاد حسني بطولة فيلم حسن ونعيمة في عام ١٩٦٠، في نفس العام الذي مثلت فيه زيزي البدراوي بطولة فيلم البنات والصيف من إخراج فطين عبد الوهاب، فتفوقت عليهما ومن يشاهد فيلم البنات والصيف، يجد أن اسم زيزي البدراوي كان يسبق اسم سعاد حسني التي قامت بدور أخت عبد الحليم حافظ التي تبارك حب أخيها لجارتهم في المصيف (زيزي البدراوي)، وكانت تحرضه لكي يحدثها، ويطلب مقابلتها، لكنه كان خجولا ولخمة، مما اضطر الجارة إلى أنها لا تهتم به، وانغمست في علاقة غرامية مع شاب آخر هو يوسف فخر الدين.

تنبأ نقاد السينما لزيزي البدراوي بأنها ستكون خليفة فاتن حمامة، لكن هذا لم يحدث، فتراجع دورها بعد بطولة فيلم البنات والصيف، وتقدمت عنها نادية لطفي وسعاد حسني، على غير المتوقع، وتُرجع زيزي البدراوي هذا لدورها في فيلم البنات والصيف، إذ سببت حزنا وألما لعبد الحليم حافظ، عندما رآها وهي برفقة الشاب يوسف

فخر الدين، غير مهتمة بحبه ومعاناته من أجلها. وغنى لفقدها أغنيته الحزينة "راح". انصرافها عن حب عبد الحليم حافظ، أدى إلى انصراف الجمهور عنها.

وفي فيلم معبودة الجماهير من إخراج وإنتاج حلمي رفلة عام ١٩٦٧. تحب شادية – الممثلة المشهورة – عبد الحليم حافظ – الممثل المغمور الذي يعمل كومبارس في الفرقة المسرحية التي تعمل بها – وقد حذرها كبار الصحفيين الذين يتعاملون معها من مغبة هذا الحب، لكنها لم تهتم وقررت أن تستجيب لرغبات قلبها وأن تتزوجه، مما جعل صاحب ومخرج الفرقة المسرحية التي تعمل بها (يوسف شعبان)، بأن يلجأ إلى الخيانة والكذب، وأن يأتي براقصة مغمورة (نادية عزت)، ويدفع لها لكي تمثل دور زوجة عبد الحليم. فتأتي ليلة الزفاف، وهي ترتدي ملابس ريفية، وتتظاهر بالمرض، وتدعي أنها زوجته، وأن عبد الحليم هو والد أطفالها الصغار الذين تركهم بلا طعام، فتضطر شادية أن تتخلى عن حبها، وأن تلغيه في آخر وقت، بل وتحرج الممثل المغمور أمام كل المدعوين للحفل، وتدعي بأن ما فعلته معه من تمثيل الحب كان من باب الدعاية لمسرحيتها الجديدة، مما أثر على نفسيته، وكان مادة للسخرية على صفحات الجرائد والمجلات، لدرجة أن أطلقوا عليه اسم "القرد أبو صديري".

دور نادية عزت هذا، جلب لها المشاكل وآخرها فنيا، فقد كان الجمهور يهاجمها ويكاد يعتدي عليها إذا قابلها في الشارع، ويقول لها:

– أنتِ التي فرقت بين عبد الحليم وشادية، حرام عليكِ.

ودور الخيانة هذا حدث في الكثير من الأفلام المصرية القديمة.

حدث في فيلم ورد الغرام بين محمد فوزي وليلي مراد، إذ اتفق نور الدمرداش مع سميحة أيوب، لتمثل دور زوجة محمد فوزي أمام حبيبته ووالدها سليمان نجيب. مما حدا بليلى مراد أن ترفضه زوجاً. وحدث هذا في فيلم بشرة خير بين شادية وكمال الشناوي، عندما يلجأ عبد السلام النابلسي الذي يريد أن يتزوج شادية لسرقة مالها بالاشتراك مع أستيفان روستي الذي يعمل مديرا في شركة والد شادية، مع الراقصة زوزو شكيب لتمثل دور زوجة كمال الشناوي، وحدث أيضا في فيلم "كل دقة في قلبي"، لمحمد فوزي وسامية جمال عندما يلجأ المطرب الذي يحب سامية جمال مع ممثلة لكي تدعي أنها زوجة محمد فوزي، والاستعانة بطفلة (ابنة محمد شوقي في الفيلم) على أنها ابنتهما، وتصدق سامية جمال هذا، وتترك محمد فوزي إلى أن تكتشف المطربة نازك التي كانت تغني مع محمد فوزي الخدعة، وتعيده إلى سامية جمال.

الغريب أن يلجأ مخرجو هذا العصر إلى هذه الخدعة الساذجة كثيرا في أفلامهم المتكررة، دون حياء ولا خشية من أن ينتقدهم أحد لسذاجة الفكرة وتكرارها.

ولنعد إلى الخلط بين الحقيقة والخيال في السينما المصرية، فقد شاهدنا فيلم الخطايا كثيرا في سينما الجمهورية القريبة من بيتي، ودهشت لازدحامها بالنساء والبنات، وعندما يصفع عماد حمدي؛ عبد الحليم في المشهد المشهور جدا، ننظر حولنا فإذ بالسيدات والبنات يبكين

وبصوت مرتفع، ويعلو صوتهن في غضب سابين عماد حمدي: إلهي إيديك تتشل. أو إلهي إيدك تتقطع.

وقد أثرت الأدوار على شهرة ومكانة الممثلين والممثلات لدى الجمهور، فقد أحببنا إسماعيل ياسين لطيبته وكذلك أحببنا نجيب الريحاني، لأنه كان مظلوما، وكرهنا محمود المليجي، وزكي رستم لقسوتهما، وقد مثل الفنان الكبير عبد الرحمن أبو زهرة دور الحجاج بن يوسف الثقفي في أحد المسلسلات التليفزيونية، وأدى أفضل أدواره، لكنه لم يحقق الشهرة التي حققها عند تمثيله لدور الحاج سردينة في مسلسل "لن أعيش في جلباب أبي"، لأنه كان طيبا، وساعد الشاب الريفي الغلبان (نور الشريف) وحماه من غدر الآخرين.

وقد أحببت فاتن حمامة في صغري، وكنت مغرما بها، لكنني كرهتها في فيلم "لا أنام"، لأنها أدت دورا يخالف أدوارها السابقة، الفتاة الشريفة العفيفة المغلوبة على أمرها، فقامت في لا أنام بدور فتاة شريرة تؤذي من حولها، تؤذي والدها وزوجته وعمها. والآن لا أطيق مشاهدة هذا الفيلم.

فيكتوريا موسى اليهودية وعباس علام

ولد عباس علام بمدينة بورسعيد في يناير ١٨٩٢، وفي ذلك اليوم تولى الخديو عباس حلمي الحكم فسماه أهله عباس.

عمل بمصلحة البريد، ثم حصل على البكالوريا وهو يعمل وانتقل إلى وزارة الداخلية بالقاهرة حيث عمل بها بقية حياته، وانتسب في كلية الحقوق في الجامعة الأهلية، واستمر في دراسته إلى السنة الثالثة، لكن الكتابة للمسرح شغلته عن إتمام دراسته.

تدرج في وظائف وزارة الداخلية من وظيفة كاتب إلى إلى مدير إدارة مجالس المديريات، ومضى طوال خدمته، تقريبا، في القاهرة، فيما عدا سنوات قليلة قضاها في مديرتي أسوان والغربية.. طبقا لما جاء في كتاب (عباس علام الكاتب المسرحي) تأليف صلاح الدين كامل.

عباس علام كاتب قصة

تعرفت على عباس علام منذ سنوات طويلة جدا، فقد كنتُ مولعا بجمع المجلات القديمة (الهلال، المختار.. إلخ)، من باعة الكتب القديمة في شارع النبي دانيال. فقرأت له قصة منشورة بمجلة الهلال عام

١٩٤٧– نفس العام الذي ولدت فيه – ونسيت اسم الكاتب، لكنني ظللت أذكر القصة وأحكيها لمعارفي – في ذلك الوقت – وكأنها حادثة مهمة تستوجب أن أحكيها. كانت القصة بعنوان "صراع الروح والجسد"، تحكي عن أرملة تجاوزت الثلاثين بسنوات قليلة تحب صديق ابنها الشاب ولا تستطيع أن تبوح له، كما أن التقاليد القاسية تمنعها من أن تتخذ أى موقف، فكتمت في نفسها حتى ماتت دون أن يعلم سرها أحد سوى طبيب الأسرة الذي يعرفها منذ أن ولدت.

ويضيع مني عدد الهلال المنشور به القصة، ثم أعود ثانية إلى باعة الكتب القديمة في شارع النبي دانيال أبحث من جديد عنه، فتعلق اسم عباس علام بذهني، واكتشفت أنه كتب بعض أفلام محمد عبد الوهاب: يحيا الحب وممنوع الحب ولست ملاكا.

عباس علام والمسرح

كتب عباس علام تسع عشرة مسرحية على مدى خمسة وثلاثين عاما تقريبا من ١٩١٣ – ١٩٤٧بدأها بمسرحية "أسرار القصور"، التي مثلها الشيخ أحمد الشامي وفرقته عام ١٩١٥. ويقول عباس علام في مقدمة خطية للمسرحية عام ١٩٤٦ "أقول هذا للتاريخ وليعلم ولداي أن والدهما هو أول من مصّر المسرح، وكان المسرح قبله إما أجنبيا معرباً، أو عربياً".

ومن أهم مسرحياته : "عبد الرحمن الداخل"، و"باسم القانون"، و"كوثر"، و"توتو" ومسرحية "ألا مود" التي سنتعرض لها باهتمام أكثر،

فقد كتبها بالعامية عام ١٩١٩ أيام كان مبعدا وظيفيا في الصعيد وحققت نجاحا كبيرا. المسرحية مهداة إلى الآنسة "ف. ط" التي رسمت له صورة كاريكاتورية ساخرة، ولما كان لا يجيد الرسم، فرد عليها بهذه المسرحية بعد أن رسمها (مسرحيا) في صورة كاريكاتورية يضحك منها الجميع.

و"ف. ط" الحقيقية كانت مثالا للجمال والرشاقة والأناقة وسلامة الذوق ورقة الشعور وسمو الأخلاق، مغرمة بالفنون جميعا؛ خاصة الرسم والتمثيل، وكانت تسكن في منزل بشارع "سامي " بالقرب من ميدان لاظوغلي، كانت موضع تقدير جميع أهل الحي، خاصة شلة الأدباء الشبان التي تتردد على أخيها الأكبر، وتمضي السهرة عنده في أغلب الأيام؛ إما في المندرة أو في الحديقة، وكان من بين هؤلاء عباس علام، ومحمد تيمور، وعبد الحميد حمدي، صاحب مجلة "السفور"، ومحمود عزمي، مترجم غادة الكاميليا، وحسن رسمي، مفتش الداخلية، وخريج جامعات إنجلترا، وكان الكل يعجب بها ويحبها حبا جماً أفلاطونيا من طرف واحد، إذ لا يجرؤ منهم أن يحبها غير هذا الحب ولا يأمل في أن تبادله الحب.

ظهور فيكتوريا موسى في حياة عباس علام

قامت فيكتوريا موسى، بدور سنية المعبرة عن شخصية "ف. ط" في المسرحية. فعندما رآها عباس علام على المسرح ذكرته بهذه الفتاة التي أحبها في صمت ولم يستطع أن يعبر لها عن هذا الحب، فانتقل حبه لـ"ف. ط" إلى فيكتوريا موسى.

أحب عباس علام فيكتوريا موسى حباً اشتهر في الوسط المسرحي كما اشتهر حب قيس لليلى، كان يطلق عليها "الإلهة إيزيس" ويسمى نفسه "عبد إيزيس"، كانت الحركة المسرحية كلها والجمهور والنقاد يؤكدون أن فاطمة اليوسف هي أهم ممثلة مسرح في ذلك الوقت إلا عباس علام، فهو يرى أن فيكتوريا موسى هي أهم ممثلة في مصر، بل هي الفن نفسه. فقد منحت لجنة توزيع المكافآت المسرحية الجائزة الأولى لفاطمة اليوسف، والجائزة الثانية لفيكتويا موسى، فكتب عباس علام:

" فإن كانت اللجنة قد ظلمت فيكتوريا هذا الظلم الشنيع وأجلستها في غير المكان الذي أعدته لها قدراتها وبراعتها وفنها فإني أروي قصة لا يعرفها غير القليلين، قصة تفهم منها وتفهم منها اللجنة، لماذا أنامتعصب لفيكتوريا موسى، ولماذا أعتبرها الفن في مصر، ولماذا أصبح عندي فيكتوريا الفن، بل ولماذا اعتبر كل ما عداها "بوش".

هذا حديث إنسان مجنون بحب إنسانة لا يرى غيرها، فهو يؤكد في قصته الطويلة إن فيكتوريا في تمثيلها أقوى من كل الممثلات في مصر وأقوى من كتاباته أيضا، فهي السبب في نجاح مسرحياته، ولولاها ما حدث هذا النجاح.

ويقول عباس علام في رسالة له لصديق: "تعرف أني ضحيت بكل شيء في سبيل فيكتوريا الفن، ضحيت بصحتي، وضحيت بصداقة الكثير من الناس لي، وضحيت بجزء من قواي العقلية أجل، فإن عقلي الآن ليس

هو عقل عباس علام، وضحيت بكثير من اعتبار الناس لي، فقد أصبحوا يشفقون علي، والشفقة لا تكون إلا من القوي للضعيف".

كان عبد الله عكاشة يعرف مدى حب عباس لزوجته فيكتوريا، فاستغل هذا الحب لصالحه، فعباس كان كاتباً مهما في ذلك الوقت، وكان من الممكن أن يترك فرقة عكاشة، ويقدم أعماله الناجحة لفرق أكثر جودة وشهرة. لكن حبه لفيكتوريا شده لهذه الفرقة.

واستغل عبد الله عكاشة هذا الحب أحقر استغلال، فكان يدفع زوجته لكي تؤثر على عباس لكي يغير فصولا من المسرحية لصالح عبد الله عكاشة، فيطيل من حجم دوره في المسرحية.

أما دور فيكتوريا موسى، فعباس علام ليس في حاجة إلى واسطة، فهو يطيل في دورها ويعطيها كل اهتمام دون دافع أو وسيط .

كان يعرف عبدالله عكاشة أن عباس علام يحب زوجته ومجنونا بها، فلم يعترض، وإنما استفاد من هذا الحب؛ لدرجة أنه كان يجعله يحمل الأشياء التي يشتريها هو وزوجته من السوق، وينقلها لهما إلى البيت.

كان أحد أصدقاء عباس علام يتمثل دائما في علاقته بفيكتوريا وعبد الله زوجها بما قاله الشاعر، "ولابد للصياد من عِشرة الكلب".

ويجيب عباس على هذا قائلا: "إنني ما كنت يوما صيادا، ففيكتوريا هي ابنتي، إذن عبدالله هو زوج ابنتي، ويجب أن أواري عيوبه وأخفي سيئاته إكراما لابنتي".

لكن للأسف، فإن فيكتوريا لم تكن سوى بوق ينفخ فيه عبدالله فيسمعك مختلف الأصوات،وآلة يحركها عبدالله فتعمل بمحض مشيئته، فهي لا إرادة لها مطلقا.

ويصف عباس؛ عبد الله هذا بصفات بشعة جدا إلى أن يقول: "بل لقد نظلم الثعبان إذا شبهناه به، فالثعبان لا يؤذي إلا من آذاه. أما عبد الله فلا يؤذى إلا من ينفعه، ولايبغض إلا من يحسن إليه، وكلما أغدقت عليه عطاياك، وكلما حبوته بفضلك، وكلما زدته منخيرك؛ تكاثر بغضه لك وعظمت نقمته عليك".

مَنْ فيكتوريا موسى؟

هي ممثلة يهودية الأصل كأغلب من سبقها من ممثلات لمعت أسماؤهن في عالم المسرح العربي مثل: ميليا ديان، وابريز استاني، ونظلة مزراحي، واستر شطاح، وغيرهن .

أسلمت فيكتوريا وتزوجت عبد الله عكاشة، مدير فرقة عكاشة، الذي رآها في حفلة مدرسية فأعجب بها كفتاة وكممثلة فأغراها، وكان عبد الله عكاشة وقتها يغني ويمثل أدوار الفتى الأول في فرقة عكاشة، وكانت هي وديعة منطوية على نفسها قليلة الاختلاط .

وتقول عنها فاطمة اليوسف في كتابها "ذكريات" عندما تعرضت للحديث عن فرقة عكاشة "وكانت بطلة الفرقة سيدة يهودية اعتنقت الإسلام وتزوجت الأستاذ عبد الله عكاشة مدير الفرقة واسمها فيكتوريا، وكانت جميلة تجيش بالعاطفة، لولا عيب كبير فيها، إذ كانت،لسبب

متصل بحنجرتها،لا تستطيع أن تضحك بصوت عالٍ أبدا، فإذا كان دورها يقتضى أن تضحك في المواقف؛ وقفت ممثلة أخرى وراء الستار وتضحك نيابة عنها في هذا الموقف".

يترك عباس فرقة عكاشة وفرقة فيكتوريا موسى التي أسستها مع زوجها بعد اختلافه مع أخويه، بعد أن ضاق بتصرفات زوجها عبد الله معه، فتضطر فيكتوريا إلى أن تعمل في فرقة رمسيس، ممثلة صغيرة بلا جمهور وبلا مسرح يحمل اسمها .

هذه هي قدرات فيكتوريا موسى في التمثيل، لكن عباس لحبه لها يراها أكثر من ذلك بكثير .المهم أن فيكتوريا موسى لم تحتمل هذا، فقد أصابتها حالة جنون أو هستريا وهى تمثل، أو تؤدي "بروفة" الأدوار، فخرجت على الدور، وخرجت عن وعيها وأخذت تهذي، وخرجت من المسرح فلم تعد إليه بعد ذلك، وكان هذا هو آخر عهدها بالتمثيل .

علاقة طلعت حرب بفرقة عكاشة

ألف طلعت حرب في عشرينيات، وأوائل ثلاثينيات القرن العشرين شركة مساهمة عرفتب اسم "شركة ترقية التمثيل العربي"، ثم أعاد بناء مسرح حديقة الأزبكية على الطراز العربي، وشكل فرقة تمثيلية كبرى وضع على رأسها أولاد عكاشة "عبد الله وزكي وعبدالحميد".

كلما قرأت عن هذه الفترة اندهشت، كيف يترك طلعت حرب الفرق الكبيرة المشهورة مثل مسرح رمسيس لصاحبه يوسف وهبي بما له من مكانة ومقدرة، وفرقة نجيب الريحاني، وفرقة فاطمة رشدي وزوجها

المخرج الكبير عزيز عيد، وفرقة على الكسار وغيرها، ويلجأ إلى ثلاثة يحذقون كل شيء إلا المسرح تحكى فاطمة اليوسف عن فرقة عكاشة بعد أن انضمت إليها: "وجدت في الفرقة الجديدة جواً من الفوضى والارتجال لم أألفه أثناء وجودي مع أستاذي عزيز عيد، لم يكن هناك إخراج دقيق وبروفات مضنية ولا أي شيء من هذا القبيل، كان كل ممثل يحفظ دوره في بيته، ثم يصعد ليلة التمثيل إلى خشبة المسرح ليمثل كما يشاء، وكانت الفرقة مازالت تتعثر في روايات سلامة حجازي القديمة، ويقدم معها شيئاً اسمه الفصل المضحك، يخرج فيه على المسرح ممثل وممثلة يرتجلان التهريج والحركات المضحكة المبتذلة حسب الظروف، ولم يكن هذا كله من الفن في شيء".

الأمر الأهم أن أسرة عكاشة (زكى وعبد الله وعبد الحميد) كانوا يتمتعون بدرجة عالية من ثقل الدم، يؤكدها كل من كتبوا عن هذه الفترة.

فيحكي يوسف وهبي في كتابه "عشت ألف عام" عن فرقة عكاشة: "ومن النوادر التي أسمعها في ذلك الوقت، أن الاقتصادي طلعت حرب باشا دعا لحضور المسرحيات الدرامية على مسرح الأزبكية الأديب الكاتب الساخر اللامع الشيخ عبدالعزيز البشري".

وكان زكي عكاشة بطل الفرقة يلعب دور رجل فقير معدم يرتدي ثيابا مهلهلة منحها له الكرماء، إلا أن زكي كان يضع في خنصره خاتما من الألماظ البرلنتي الضخم، ظل يزغلل به أعين الجمهور أثناء التمثيل.

ولما انتهت المسرحية واصطحب طلعت حرب الأديب البشري إلى الكواليس لتهنئة زكي عكاشة بادره الشيخ البشري بالسؤال:

– طيب يا أستاذ زكي مادمت لابس هلاهيل جبت الخاتم الألماظ ده منين؟

فأجاب زكي في بجاحة: وفيها إيه يا أخي اللي شحت منه الهدوم كان رجل كريم .

وحدث في مسرحية أخرى، أن وقف الممثل عبد الله عكاشة على المسرح في مسرحية محزنة وبيده زجاجة سم ناقع، والتفت إلى الجمهور وصاح :

– أنا حاشرب القزازة دي كلها علشان أموت على طول.

فصاح عبد العزيز البشري وقد كان يجلس في مقصورة بالمسرح:

– لأ، خللي شوية لأخواتك زكي وعبد الحميد.

ما الذي يرمي رجل عظيم مثل طلعت حرب أسس بنك مصر وشركاته ومنها شركة مصر للتمثيل والسينما، وأسس أستوديو مصر، أن يعتمد على هؤلاء الذين لا يجيدون التمثيل، ويتمتعون بثقل الدم؟

يدعي البعض أن طلعت حرب كان على علاقة بفيكتوريا موسى ومن أجل جمال عينيها أنفق على هذه الفرقة من دون باقي الفرق المهمة في ذلك الوقت، لكن هذا الادعاء لا يستند إلى قرائن تؤكده، فالفترة التي أنفق طلعت حرب على فرقة عكاشة كان المهيمن عليها زكي عكاشة وليس عبد الله عكاشة زوج فيكتوريا. فكل من كتب عن هذه الفترة أكد

بأن زكي عكاشة استغل إعجاب طلعت حرب به، وتعالى على أخويه، مما دفع عبد الله وزوجته أن يتركا له الفرقة ويؤسسا فرقة خاصة باسم فيكتوريا موسى، ولو كان اهتمام طلعت حرب بهذه الفرقة من أجل جمال فيكتوريا موسى لكان عبد الله، زوجها، هو المسيطر والمهيمن على الفرقة، ولكان استغل عبد الله هذا الحب، لنيل مكاسب كبيرة جدا من طلعت حرب كما فعل مع عباس علام.

سذاجة فيلم ألمظ وعبده الحامولي

عُرض فيلم ألمظ وعبد الحامولي عام ١٩٦٢ بطولة نجمي الغناء وردة الجزائرية وعادل مأمون. عن قصة لعبد الحميد جودة السحار، واشترك في السيناريو نيازي مصطفى ومحمد أبو يوسف وحلمي رفلة، وقام بكتابة الحوار، وبعض أغاني الفيلم صالح جودت، ومن إخراج وإنتاج حلمي رفلة.

يبدأ الفيلم بدليسبس الفرنسي (أدمون توما)، وقد جاء بعاهرة فرنسية (نادية الجندي) ليهديها إلى الخديو إسماعيل ومعه (عَقدا) لقرض فرنسي بمبلغ كبير بفائدة قدرها ٦٠% – وتقدم العاهرة الفرنسية أكواب الشراب، وتنظر ناحية الخديو بما يعني أنها تتآمر عليه، وتستغل سكره وتجعله يوقع على الاتفاق.

فيأتي جمال الدين الأفغاني، يقابل أتباعه وتلاميذه في قهوة البوسطة، ويوعيهم، ويحذرهم من سفه وفساد الخديو إسماعيل، ففوائد القرض العالية جدا ستدفع من دم وعرق الشعب الغلبان.

قام بدور الخديو إسماعيل الممثل العظيم حسين رياض، فأتقن أداء الدور، مما جعلنا نكره الخديو الذي لا يهمه سوى البحث عن

النساء، وبخسة شديدة. فهو يتابع النساء من ثقب دخول المفتاح في الباب.

إنني لا أميل لأسرة محمد علي، فقد احتلوا مصر كلها، أخذوا كل أراضيها الزراعية وقاموا بتوزيعها من جديد على من يرضون عنهم، تعاملوا مع الشعب في تعالي وظلم واضح. وقد سمعت الدكتور مصطفى الفقي في برنامج تليفزيوني وهو غير راضٍ عن تغيير أسماء الشوارع التي كانت تحمل أسماء أسرة محمد علي. ودهشت من رأيه، فكيف نقبل أن تكون كل شوارع مصر الكبيرة والمهمة بأسماء الأسرة العلوية. لو تم تكريم بعض حكامهم وأطلقوا أسماء من يستحق منهم، على القليل من الشوارع؛ كنا قبلنا. لكن كل شيء في مصر كان منسوبا إليهم بطريقة مستفزة ولا تعني إلا أننا عبيدا لهم.

في الإسكندرية – مثلا – معظم المستشفيات الحكومية كانت تحمل أسماءهم: مستشفى الولادة اسمها دار إسماعيل، مستشفى العظام اسمها ناريمان، مستشفى العيون اسمها فاروق، مستشفى الأطفال اسمها الملكة نازلي، الاستاد اسمه ملعب الملك فؤاد، وأسسوا مستشفى قريب جدا من كوبري راغب باشا وقرروا أن يطلقوا عليها اسم واحدة من بنات الملك فاروق، لكن ربنا ستر، فقد قامت ثورة يوليو ٥٢ وأعلنت الجمهورية قبل بدء العمل بالمستشفى فعند افتتاحها؛ أطلقوا عليها اسم الجمهورية.

أسرة محمد على الذين حكموا مصر، بعضهم أفاد البلد، وبعضهم كان خائنا ولا يستحق حتى الترحم عليه. محمد على باشا صنع

مصر الحديثة، وأراحنا من المماليك، وأرسل البعثات، وأقام المشاريع العظيمة. وربيبه إبراهيم كان وطنيا لكنه مات قبل أن يصنع شيئا وجاء عباس حلمي، شخص معقد، شاذ، جاهل، يرى أن حكم شعبا جاهلا أفضل من حكم شعبا متعلما، فأغلق المدارس التي أنشأها جده محمد علي، لدرجة أن مدرسيها أضطر بعضهم لأن يعمل خادما في البيوت. وكان سعيد نهما للأكل، ومات صغيرا فلم يترك أثرا يستحق الثناء عليه، إلى أن جاء إسماعيل. فرمم البنيان المتصدع بسبب أفعال عباس حلمي.

حول الخديو إسماعيل مجلس المشورة الذي أسسه جده محمد على باشا إلى مجلس شورى النواب، وأتاح للشعب اختيار ممثليه. وافتتح أولى جلساته في ٢٥ نوفمبر ١٨٦٦. وحول الدواوين إلى نظارات. ووضع تنظيم إداري للبلاد، وانشأ مجالس محلية منتخبة للمعاونة في إدارة الدولة، وأصبح للمجالس المحلية حق النظر في الدعاوي الجنائية والمدنية، وانحصر اختصاص المحاكم الشرعية في النظر في الأحوال الشخصية. وألغى المحاكم القنصلية وبدلها بالمحاكم المختلطة.

في عصره تم الانتهاء من حفر قناة السويس، وأقام احتفالا كبيرا في افتتاحها. وأنشأ دار الأوبرا المصرية. وأقام قصر عابدين وأنشأ كوبري قصر النيل، في إطار تخطيطه لوسط القاهرة على غرار مدينة باريس التي عاش فيها وأعجب بها وأدخل الطرق الحديثة في الاتصالات كالبرق والبريد وتطوير السكك الحديدية، وأضاء الشوارع ومد أنابيب المياه.

وبعث النهضة العلمية والفكرية بإنشاء المدارس والمعاهد، وأنشأ أول مدرسة لتعليم البنات (المدرسة السنية) وأنشأ دار العلوم ودار الكتب ودار الآثار «المتحف المصري» والجمعية الجغرافية، وفى ظل حكمه – عام ١٨٧٥ أنشئت صحيفة الأهرام. وتأسست الجمعيات العلمية، وشجع التأليف والصحافة، ورعاية الفنون والآداب.

وأكمل فتح السودان، ومد حدود الدولة المصرية إلى منابع النيل وشواطئ المحيط الهندي، وعنى بتنظيم الجيش وترقية التعليم الحربي وإنهاض البحرية المصرية وإقامة أعمال العمران في كافة النواحي، وحفر ترعتي الإسماعيلية والإبراهيمية، وزادت مساحة الأرض الزراعية عموما، وأنشأ ١٩ مصنعا للسكر.

فيلم ألمظ وعبده الحامولي غير التاريخ، ولا أدري كيف فعل عبد الحميد جودة السحار هذا، فالخديو إسماعيل في رأيه رجلا تافها، لا يهمه سوى الوصول للنساء اللاتي يرغب فيهن. وعندما يقول ديلسبس (أدمون توما) لخادم الخديو الخاص (حسن فايق): إن نسبة الفوائد غالية شوية، تصل إلى ٦٠%. يجيب الخادم:

– الخديو متهمهوش النسبة اللي يهمه الحصول على المال.

وعندما يرى المطربة ألمظ، يعجب بها، وهي فتاة كانت تعمل – مثل الكثيرات في ذلك الوقت – في عمل البناء، يحملن المونة على رءوسهن ويصعدن لأعالي البنايات، وكانت تغني وهي تعمل، واستطاعت أن تصل إلى المطربة ساكنة – أشهر عالمة في ذلك الوقت – فغنت في

فرقتهـا. واشـتهرت. وتعرفـت علـى عبـده الحـامولي – أشـهر مغنـي فـي عـصرها – فـساعدها لكـي تغنـي فـي بيـوت الأكـابر، ومـنهم الخـديو إسـماعيل الـذي أفتـتن بجمـال وجههـا وجـسدها وصـوتها وأرادهـا لـه – كعادته – كلما رأي امرأة جميلة.

لكنها امتنعت أن تكون محظيته، وتزوجت عبده الحامولي الذي أراد حمايتهـا منـه، وعنـدما ألـح فـي أن تغنـي أمامـه، قـرأت القـرآن، فلـم يـستطع الاعتـراض. وأصـرها فـي نفـسه، ناويـا الانتقـام منهـا ومـن عبـده الحامولي زوجها.

اشـتركت ألمـظ وعبـده الحـامولي مـع الثـوار الـذين تـأثروا بأفكـار جمال الدين الأفغاني، واستطاعوا إسقاط الخديو إسماعيل الفاسد الداعر وخلعه. وجاءوا بابنه توفيق حاكما جديدا لمصر، فقد كان توفيق من أتباع جمـال الـدين الأفغـاني. وكـان يـسمع خطبـه فـي القهـوة التـي يقابـل فيهـا تلاميذه: محمد عبده وعبد الله النديم وباقي أفراد الشعب.

من هو الخديو توفيق الذي جاءت به ثورة الشعب المصري في فيلم ألمظ وعبد الحامولي؟

توفيق هو الابن الأكبر للخديوي إسماعيل من مولدة اسمها شفق نور، ولم يكن إسماعيل يريده واليا للعهد وإنما أرادها لابنه حسين كامل من زوجته المقربة إليه نور فلك. لكن الظروف أتت بما لا يشتهي، فقد تم عزله فجأة، وتم تعيين ابنه الأكبر توفيق بدلا منه.

تربية توفيق في القصر أثرت على علاقاته مع الجميع بعد توليه الحكم فقد كان مترددا ضعيف الشخصية، فقد تزوج أمينة إلهامي ابنة إبراهيم إلهامي ابن عباس حلمي الذي قُتل في بنها في ١٣يوليو ١٨٥٤. التي كان له دور إيجابي على زوجها وعلى البلاد وعلى ابنها بعد موت زوجها توفيق.

لقد كان توفيق أكثر أبناء أسرة محمد على ظلما وبعدًا عن الوطنية، فقد قام الأسطول الإنجليزي في عصره بضرب الإسكندرية وتدمير قلاعها وتدمير أجزاء من أحيائها، واضطر الكثير من الأهالي إلى الهروب من المدينة، وواصل الأسطول القصف في اليوم التالي، فاضطرت المدينة إلى التسليم ورفع الأعلام البيضاء بعد تدمير أغلب أحياءها، وبدلاً من يغضب الخديوي توفيق ويحزن على البلاد التي يحكمها ويبدأ في مقاومة المحتلين؛ استقبل الأميرال بوشامب سيمور قائد الأسطول البريطاني في قصر الرمل بالإسكندرية، وانحاز إلى الإنجليز المحتلين، وجعل نفسه وسلطته الحكومية رهن تصرفهم حتى قبل أن يحتلوا الإسكندرية. فأثناء القتال أرسل الإنجليز ثلة من جنودهم ذوي الجاكتات الزرقاء لحماية الخديوي أثناء انتقاله من قصر الرمل إلى قصر رأس التين عبر شوارع الإسكندرية المشتعلة. ثم أرسل الخديوي إلى أحمد عرابي في كفر الدوار يأمره بالكف عن الاستعدادات الحربية، ويحمّله تبعة ضرب الإسكندرية، ويأمره بالمثول لديه في قصر رأس التين؛ ليتلقى منه التعليمات.

كلما شاهدت فيلم ألمظ وعبد الحامولي أدهش، ألا يعرف من صنعوا الفيلم الفرق بين إسماعيل وتوفيق، يتأثر الشعب بكلمات جمال الدين الأفغاني، ويثور لكي يعزل الحاكم الوطني المحب لبلاده، ويأتي بابنه الخائن الذي سمح للإنجليز باحتلال البلاد.

عالم اللصوصية والاحتيال في فيلم سي عمر

درس نيازي مصطفى السينما في ألمانيا، وعندما عاد إلى بلده – مصر – في عام ١٩٣٧، أسند إليه أحمد سالم مدير استديو مصر إخراج فيلم سلامة في خير – عن قصة لاستوديو مصر.

وفي عام ١٩٤١، أسند إليه أحمد سالم – أيضا – إخراج فيلم سي عمر عن قصة لبديع خيري ونجيب الريحاني. استخدم نيازي مصطفى خبراته في إخراج الفيلم، فالجزء الأول منه دار كله تقريبا في الخارج.

ركز الفيلم على عالم السرقة والاحتيال. فهو يبدأ، بجميل بك – عم سي عمر (شرفنطح) الذي يتولى الإشراف على أراضي وممتلكات أبن أخيه عمر الألفي الغائب. فمنذ عشرين عاما، اختلف عمر مع أبيه الباشا في أمور لم يوضحها الفيلم، فغضب عمر وترك قصر والده، وهاجر إلى الهند.

يُظهر المخرج مدى لصوصية العم – الذي كان ضابط شرطة، يطارد اللصوص ويعاقبهم، ووصل إلى رتبة حكمدار – يتصل به وكيل التفتيش (فؤاد الرشيدي) ويخبره بأن مستأجر الأرض يريد أن يدفع

خمسة جنيهات في الفدان، فيتفقا على أن يحصلا منه ستة جنيهات في الفدان، ويكتبوا في العقد ٣،٥ جنيها. ويسرقان الفرق بين المبلغين.

ويظهر الممثل على كامل، يصرف لعدد ضئيل جدا من عمال الزراعة. ثم يُخرج من درج مكتبة أختاما كثيرة جدا تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ خاتم. وعندما يعترض الموظف الصغير الأمين – جابر شهاب الدين – (نجيب الريحاني) على سرقاتهم في كل شيء؛ يتم فصله من العمل بالتفتيش.

هذا هو عالم تفتيش البطالحة – العزبة التي يمتلكها عمر الألفي.

يسافر جابر شهاب الدين إلى القاهرة بعد فصله من عمله، يقابل في القطار اللص الكبير – عبد المجيد ساطور – (عبد الفتاح القصري)، فقد سرق عقد مرتفع الثمن. وعندما أحس بالشرطة حوله، أخفاه في ملابس جابر شهاب الدين دون أن يشعر. ونصحه بأن يقيم في لوكاندة الشمس بشارع نوبار باشا.

لكن برلنتي – زوجة عمر الألفي – وهي لصة محترفة، ترى ساطور وهو يفعل هذا، فتخطط لأخذ العقد. تستغل جهل جابر شهاب الدين بوجود العقد في ملابسه، وتحتال، وتأخذه منه مدعية إنه عقدها.

يبحث جابر عن مكان ليقيم فيه، فيقابله كوارع (عبد العزيز أحمد) صبي عبد المجيد ساطور، فينصحه بالاقامة معه في أحد الفنادق الرخيصة، وفي المساء يسرق كل نقوده ويهرب.

عندما تفرج الشرطة عن ساطور، يبحث في الفنادق عن جابر ليأخذ العقد منه. فيجده أخيرا أمام وزارة الأشغال يبحث عن عمل. يسأله عن العقد، ثم يأخذه إلى بار كله شجار ومشاكل. يفتشه تفتيش ذاتي. ويأخذه إلى مكان إقامته، ويجبره على الاشتراك معهم في سرقات متعددة، منها سرقة صيدلي ثم بقال.

تكتشف برلنتي مدى الشبه الشديد بين جابر شهاب الدين وزوجها عمر الألفي الذي تزوجته عرفيا في الهند. عندما سافرت إليها مع فرقة مسرحية. لكنه سافر إلى أحد المدن الهندية ولم يعد. فحسبته قد قُتل في رحلته هذه، وعادت إلى مصر وحدها.

تذهب برلنتي لمقابلة المحامي (استيفان روستي) الذي ينصحها بأن تدعي بأن عمر الألفي مازال على قيد الحياة. وأن زواجهما كان زواجا عاديا – وليس عرفيا – لتضمن حقوقها من أسرته.

فتذهب لقصر عمر الألفي وتقابل أسرته، وتعطيهم صورة جابر شهاب الدين التي وقعت منه عند تفتيشه لأخذ العقد منه، مدعية أنها صورة عمر الألفي.

بعد هرب عمر الألفي وسفره إلى الهند، تنجب أمه طفلة – لوللا – (زوزو شكيب) التي تعجب بجابر شهاب الدين، وترسم له صورة كبيرة، معتمدة على الصورة الصغيرة التي أعطتها لهم برلنتي.

يشاهد جابر برلنتي وهي تركب السيارة، فيأخذ ساطور معه ويتبعانها. يدخلان قصر عمر الألفي خلفها، فيفاجئان بدهشة البواب

والخدم لمرأى جابر. فقد ظنوه عمر الألفي وقد عاد إلى قصره. فترسل الأسرة لطلب العم. فيأتي مع ابنة عزت (سراج منير) الذي يرغب في الزواج من لوللا – ابنة عمه – يشك جميل بك في جابر، ويسمعه وهو يتحدث مع برلنتي. فيتأكد له إنه ليس ابن أخيه الغائب. فيقبض عليه، ويعقد معه اتفاقا، بأن يتركه في القصر نظير أن يساعده في سرقة الأسرة. لكن الحظ يواتي جابر شهاب الدين. باكتشاف مستند، يزور فيه جيل بك إمضاء زوجة أخيه؛ لكي يسرق أموال الأسرة. هذا الحدث يجعل العم يبتعد عن القصر، وتكون الوصاية لجابر شهاب الدين على كل شيء، باعتباره عمر الألفي الذي عاد من سفره بعد عشرين عاما لاسترداد أمواله.

الكل يسرق ويحتال – برلنتي سرقت العقد في أول الفيلم، وادعت أن زوجها عمر الألفي مازال على قيد الحياة، وتشترك في مؤامرة جابر شهاب الدين في النصب على الأسرة. والغريب إن عمر الألفي عندما يعود من الهند، يتعامل معها وكأنها امرأة شريفة ومخلصة له، وكأن المخرج قد نسى سرقاتها ومؤامراتها.

بعد تصوير جزء كبير من الفيلم، اكتشف نجيب الريحاني أن مشاهد عبد الفتاح القصري تفوق مشاهده. فأوقف تصوير باقي الفيلم. وتظاهر بالاختلاف مع المخرج نيازي مصطفى في بعض الأمور. وأعاد كتابة الفيلم، فقلل من دور عبد الفتاح القصري. واضطر نيازي مصطفى أن يقبل بذلك. فقد كان الريحاني أكثر شأنا وأهمية من المخرج الشاب العائد منذ سنوات قليلة من بعثته التعليمية في ألمانيا.

يستطيع جابر شهاب الدين، أن يضبط العمل في التفتيش. بعد عزل الوكيل وباقي اللصوص هناك. فحقق التفتيش دخلا أضعاف ما كان يحققه في السنوات السابقة. لكن برلنتي لم يعجبها الحال. فهي غير راضية عن سيطرة هذا الغريب على التفتيش والأموال وكل شيء في القصر.

ويعود عمر الألفي، يقابل برلنتي ومحاميها، ولم يذكر الفيلم العقاب الذي تستحقه للصوصيتها وخيانتها لزوجها الغائب. ووافق جابر شهاب الدين مضطرا على أن يزوج عزت (سراج منير) من لوللا التي لا تحبه ولا تطيقه. ويُخرج جابر شهاب الدين صورتها ويتابعها في إعجاب شديد، متمنيا الزواج منها، لكنه في نظر الناس والأسرة أخوها الكبير.

يستعرض نيازي مصطفى خبراته وفنيته في إظهار نجيب الريحاني في دورين في وقت واحد. ويأتي ساطور وكوارع لمطالبة جابر شهاب الدين – شريكهما القديم في السرقة – ليعطيهما شيئا من دخل التفتيش الذي استولى عليه، لكن جميل بك يقابلهما. ويتذكرهما، فقد قبض عليهما أكثر من مرة أيام كان ضابطا في الشرطة. ويطلب منهما أن يأتيا له بالورقة التي يزور فيها إمضاء زوجة أخيه، فجابر شهاب الدين يحتفظ بها ويهدده بها. نظير مبلغ محدد.

تأتي الشرطة وتقبض على اللصين (ساطور وكوارع) ويُكتشف أمر جميل بك السارق المحتال. ويعمل عمر الألفي على أن تتزوج أخته لوللا التي جاءت إلى الحياة في غيابه، من جابر شهاب الدين – شبيهه – في

الفيلم كم هائل من اللصوص: ضابط الشرطة السابق – جميل بك . ووكيل التفتيش (فؤاد الرشيدي)، وعلي كامل الموظف والكثير من موظفي التفتيش. ثم ساطور وكوارع، حتى جابر شهاب الدين عمل بعض الوقت مساعدا للصوص. ثم برلنتي. ومحاميها المحتال الذي ساعدها في النصب على الأسرة. هل كان المجتمع المصري – وقت تصوير الفيلم– عائما في عالم اللصوصية والاحتيال؟!

أصالة الزوجة المصرية في فيلمي

"مافيش تفاهم ومراتي مدير عام"



عرض فيلم "مافيش تفاهم" في ١١ ديسمبر ١٩٦١ – من إنتاج حلمي رفلة وإخراج عاطف سالم. وهو مأخوذ عن مسرحية لنيروز عبد الملك عُرضت على المسرح بنفس الاسم.

البطل في المسرحية هو "أبو الفتوح" صديق الزوج (شحاتة)– الذي يقلق على صديقه لعدم حضوره إلى القهوة، فيزوره في بيته. هناك يقابل الابن (سامي)، وهو شاب مراهق، شديد الإعجاب بجارته التي تُجري بعض التمرينات الرياضية لزوم الرشاقة، فتضع الكُتب على رأسها وتمشي لكي تنظم خطوات سيرها.

يسأل أبو الفتوح عن صديقه (شحاتة) لكن الشاب المراهق، مشغول بجارته الفاتنة، فيحدثه عنها، فيعتقد أبو الفتوح أن صحة شحاتة غاية في السوء، فيتصل تليفونيا بالقهوة ويبلغهم بذلك، فيأتوا مهرولين: (الزبائن وعامل القهوة وماسح الأحذية) يهجم الجميع على سكن شحاتة، ويقيموا فيه، وكأنهم جلوس على القهوة، بل يتشاجرون هناك ويحطمون الأثاث.

ويتكشف لنا حال البيت، الزوجة عصمت هانم مسيطرة تماما على البيت ولا تسمح لزوجها بالتنفس أمامها. تريد أن تزوج ابنتها ليلى من عريس اقترحه عليها أخوها الذي تلبي طلباته مهما كانت مجحفة. وتمنع زوجها من الذهاب إلى القهوة ليلعب الطاولة – سلواه الوحيدة في الحياة.

يعرف شحاتة إن ابنته تحب شابا اسمه الدكتور سامي، تقابله في المعدية التي تقله لعمله، وتقلها لمدرستها. فيتفق مع ابنته على أن يتظاهر بالمرض ويطلب الطبيب للكشف عليه، ليعاينه ويرى أن كان مناسبا لابنته من عدمه. ويأتي الدكتور سامي، ويكتشف إنه ليس طبيبا، بل هو حاصل على الدكتوراة في الكيمياء.

تم عرض هذه المسرحية على مسرح شركتنا، فقد كانت الشركة تخصص مبلغاً في الميزانية لعرض مسرحية كل عام.

مثل زملائي المقربين إلى في هذه المسرحية. زميلي المحاسب الذي قام بدور سمير، فاشترى ملابس على حسابه الخاص من أجل الدور، ووقت العرض جلستُ بجوار أسرته التي كانت معجبة وسعيدة بآدائه.

حوَّل نيروز عبد الملك مسرحيته إلى فيلم سينمائي، فجعل البطولة للدكتور سامي، وكان دوره في المسرحية لا يتعدي مشهدين أو ثلاثة. وتقلص دور أبو الفتوح البطل الحقيق في المسرحية.

قامت علوية جميل بدور الزوجة المتسلطة رئيسة جمعية البيت السعيد، وبيتها غاية في التعاسة، الزوج مقهور، محروم من الخروج لمقابلة

أصدقائه، والابن تائه يتابع جارته الفتاة الجميلة. والابنة تحب الدكتور سامي ولا تجد من يشاركها هذا الإحساس.

قام بدور شحاتة (حسين رياض) ودور صديقه أبو الفتوح الممثل (أحمد شكري) وهو ممثل قدير لم ينل حظه في السينما، رغم تميزه في أداء كل الأدوار التي قام بها، كدور ناظر المدرسة في فيلم بداية ونهاية. وقامت بدور الفتاة التي يعشقها سامي، نبيلة عبيد في أول أدوارها في السينما. ولم تنطق بكلمة واحدة طوال الفيلم.

تحكي ليلى (سعاد حسني) لوالدها عن حبها هذا، فيستغل والدها سوء الفهم الذي أحدثه أبو الفتوح، وتظاهر بالمرض حتى يأتي الدكتور سامي للكشف عليه ويعاينه.

ما يهمني هنا تغير موقف الزوجة بعد مرض زوجها. فبعد أن كانت مسيطرة وقاسية في معاملته، حزنت عليه وخافت من مضاعفات المرض، فاستغل هو ضعفها هذا، وأمرها بفض جمعية البيت السعيد التي كانت تأخذ معظم وقتها، وأن ترفض العريس الذي رشحه أخوها لها لكي يتزوج ابنتها، وأصبح هو المسيطر. والزوجة خائفة عليه. هذا يؤكد حسن خلق الزوجة وأصالتها، فكان من الممكن ألا تعطي لمرضه اهتماما، وذلك يزيدها تحكما فيه.

هذا الموقف الأصيل للزوجة، تجده أيضا عند الزوجة في فيلم مراتي مدير عام. الذي عُرض في عام ١٩٦٦ عن قصة لعبد الحميد

جودة السحار وسيناريو وحوار سعد الدين وهبة ومن إخراج فطين عبد الوهاب.

الزوج حسين والزوجة عصمت، تخرجا من كلية الهندسة في عام واحد، لكنها أكملت دراستها وحصلت على الماجستير، وأصبحت مدير عام للمصلحة الحكومية التي يعمل بها زوجها. يخفيان أمر زواجهما عن الجميع في المصلحة، لكن الزوج يضطر لاعلان هذا الزواج بعد أن رأوها تضع السندوتش في فيلمه، وبعد علمهم بأنه خرج في الصباح من مقر سكنها.

ما يهمني هنا، أن الزوجة عندما اختلفت مع زوجها – مرءوسها – أمام العاملين في المصلحة، وهددت بأن تجازيه؛ أثر هذا على علاقتها معه في السكن. فإن كانت هي مديرته في العمل، فهو مديرها في البيت. فاستغل سيطرته عليها كزوج. وتلكك لها، فلامها لتأخرها في إعداد الغداء، وعنفها عندما وجد زرار قميصه مقطوعا، فاستكانت، وارتعدت خوفا، وبالغت في إرضائه. وكان يمكن لها ألا تهتم بهذا، وأن تقول له (كما تقول البعض): أنا موظفة مثلك، بل أنا درجتي أكبر من درجتك، ومرتبي أكبر من مرتبك.

كلما شاهدت هذين الفيلمين أحس بمدى الأصالة وحسن الخلق في الكثير من الزوجات المصريات. وذلك ذكرني بما شاهدته منذ شهور قليلة في عيادة التأمين الصحي: مسن يرتدي عباءة فوق جلباب أبيض، ونظارة، جاء لاجراء فحوص وهو صائم، وعندما عاد من معمل التحاليل،

أخرجت زوجته السندوتشات، وزجاجة اللبن. كانت تحنو عليه أمامنا بشكل واضح. علق على هذا المريض المجاور لي. وأشار إلى رجل آخر، متهالك، وزوجته تزجره دون مراعاة لوجودنا، فقال جاري هامسا:

– شوف، شوف، شوية وحاتضربه.

ثم صاح مشيرا للمسن وزوجته:

– شايفين يا ناس الست الأصيلة بتعمل إيه في جوزها!

مرسي جميل عزيز

والعودة إلى الصواب

كلما فكرت في الماضي، اكتشفت أنني كنت أتمسك بآراء خاطئة كثيرة، وكنت أتشدق بها أمام أصدقائي. وكان عددا كبيرا منهم – في ذلك السن – يقتنعون بما أرى وأقول، كنت الوحيد بينهم الذي مازال يتعلم، والوحيد بينهم الذي يحب القراءة، ويتحدث في فن السينما والموسيقى والأدب.

من هذه الأفكار رأيي في مؤلفي الأغاني في مصر.

فرغم رفضي لفكر أحمد رامي في الحب، كنتُ أراه في قمة كتاب الأغنية، هو وعبد الفتاح مصطفى، لكن الحب الغريب الذي يبديه رامي لأم كلثوم كان يغيظني، وأراه نوعاً من المرض النفسي، وقد قلت لزميلة لي في العمل، جلستْ بجواري في سيارة الشركة عن رأيي هذا.فقالت:

– أم كلثوم ما تتحبش إلا كده.

وكنتُ أرى أن حسين السيد ومرسي جميل عزيز من الطبقة الأقل، والدليل على ذلك أن أم كلثوم لم تغن لهما أغنية واحدة، كنتُ متأثراً برأي أستاذي في المدرسة الثانوية الذي لم يكن معجبا بحسين السيد ويعتبره تابع لاهواء عبد الوهاب ومنفذا لرغباته وأفكاره.

وعندما وافقت أم كلثوم على أن تغني أغنية "سيرة الحب" لمرسي جميل عزيز؛ غضبتُ وحزنتُ واعتبرت أنها خانت آرائي، وعرتني أمام أصدقائي الذين أظهر أمامهم على أني أعرف كل شيء.

ويوم حفلة غناء الأغنية، استعد "أبو كحلة" للحفل ككل مرة، فأخرج الراديو الكبير خارج الحجرة التي يسكنها في دور أرضي في بيت مبني بالخشب والصفيح الصدئ، وأخرج الحصر والأكلمة من بيته، وفرشها على الرصيف في الحارة، وجلسنا حوله، وأصر ألا نشاركه في مصاريف السهرة، فالسوداني واللب والشاي على حسابه، هذا غير الترمس الذي بلته زوجته – استعدادا لحفل أم كلثوم منذ أكثر من أسبوع– اسمه الحقيقي توفيق، لكنه يضع الكحل في عينيه، فاشتهر في الحارة باسم أبو كحلة، واعتاد الاسم، ووافق عليه هو وأولاده وزوجته وأقاربه جميعاً.

يعمل عربجي كارو، يضع العربة والحمار خلف البيت الذي يسكنه.

دارت الموسيقى التي لحنها بليغ حمدي، ثم انطلق صوت أم كلثوم:

طول عمري بخاف من الحب وسيرة الحب وظلم الحب لكل أصحابه
وأعرف حكايات مليانه آهات ودموع وأنين والعاشقين دابوا،ما تابوا
طول عمري بقول لا أنا قد الشوق وليالي الشوق ولا قلبي قد عذابه

طوال الوقت ألعن في الأغنية واسخر منها، وأبو كحلة ينظر إلى ولا يقدر على الرد، فأنا لست بصديقه،

والعلاقة بيننا لا تتعدي السلام والتحية، لكن صديقي الذي يكبرني بسنوات قليلة صاح فيّ:

-كفاية، خلينا نسمع الأغنية.

بعد سنوات اكتشفتُ أنني مخطئ، وأن مرسي جميل عزيز لا يستحق مني هذا الموقف. تتبعت مسيرته، أغانيه التي تجنح نحو العالم الشعبي الذي أحبه وأعشقه في كل شيء. أنتظر الأفلام التي تدور في الأحياء الشعبية، وأتمنى أن أكتب دراسة كبيرة عن الأحياء الشعبية في السينما المصرية منذ فيلم العزيمة.

مرسي جميل عزيز كتب أغاني عبد العزيز محمود الذي كان نجماً في عالم الأحياء الشعبية، وكانوا يسهرون لسماعه..

أغاني مرسي جميل عزيز سيناريو يهتم بالتفاصيل الصغيرة، كما أنه رغم عباراته السهلة؛ عميق جدا في معانيه، وأنا أحب هذا النوع من الفن.

وأذكر يوم أن اتصل بي الدكتور هشام أبو النصر- تليفونيا -، وأخبرني بأنه في الإسكندرية، ويريد مقابلتي، قال إنه سيكون مساءً في كازينو الشاطبي.

يومها أخذت صديقي "حجاج أدول" وذهبنا إليه، كان في الكازينو حفل زفاف، وجزء صغير جدا منه، اتخذوه كافتريا، يجلس فيها الحبيبة، دخلنا الكازينو، فوجدت العروس ريفية، أو من حي شعبي، والمدعوين يميلون للسمار، ولا يمكن أن يكونوا أقارب هشام أبو النصر.قلت لحجاج:

– قد يكون قد قال لي اسماً آخر غير الشاطبي.

وخرجنا في طريقنا للبيت، لكنني وجدت هشام أبو النصر يسير مع رجل أكبر منه سناً، وشاب وسيم، وهو غاضب ويتحدث في عصبية، فالكافتريا لا تقدم إلا "الناسكفيه"، والدكتور هشام يريد أن يشرب القهوة.

قدم الدكتور هشام الرجل المسن قائلا:

– الأستاذ "سيد مرسي"، مؤلف الأغاني المشهور.

ولا أذكر ماذا قال عن الشاب الوسيم. جلسنا في الكازينو المواجه لكازينو الشاطبي، وسيد مرسي صامت، غير سعيد لما يحدث، والجو مكهرب. وعندما جاء الساقي، رفض أن يطلب شيئا هو والشاب الوسيم. أردت أن ألطف الجو، فقلت لسيد مرسي:

– إنني أتابع أغانيك بإعجاب شديد، فأنت قادر على تحويل الكلام العادي الذي نتكلمه إلى غناء، منذ أغنيتك المشهورة عالحلوة والمرة، مش كنا متعاهدين، ومرورا بردوا السلام ألا السلام ده غالي، وخليكوا شاهدين وغيرها من أغاني.

فقال لي وهو يشير إلى هشام أبو النصر:

– لسه الدكتور قايل لي كده.

واشترك هشام في الحديث، وأكد على قولي.

تحدثتُ عن إعجابي بكبرياء عبد الفتاح مصطفى في أغانيه، وخاصة أغنيته لسه فاكر، وعن حب رامي المريض لام كلثوم، فقال لي سيد مرسي:

– عندما قابلت عبد الفتاح مصطفى، قال لي: "أنت صاحب أشهر شطرة بيت شعر في أغاني المصرية: "يوه، هو فيه حد النهارده بيفتكر؟" التي غنتها وردة.

وأكمل سيد مرسي:

– إنني مؤلف، في مستوى أقل من رامي وعبد الفتاح مصطفى ومرسي جميل عزيز.

دهشتُ من هذا، فقد تعودت أن أقابل مغني محدود القيمة، فيحدثني على أنه أهم من عبد الحليم حافظ، لولا الحظ السيئ. وتعودت أن أقابل روائي عادي جدا، فيقول إنه أفضل من نجيب محفوظ وماركيز، لكن محدش بيقدر.

أول مرة أقابل فنان يتحدث عن نفسه بهذا التواضع.

حكى لي عن اشتراكه في تأليف أغاني "مولد يا دنيا"، فقد كانت الأغاني مقسمة بينه وبين مرسي جميل عزيز. وقد حددوا لكل منهما الأماكن التي سيكتبون فيها، وكان من نصيب سيد مرسي الأغنية التي سيغنيها مدبولي، بعد أن انصرفت الدنيا عنه، وراحت عليه هو وعربته الحنطور وحصانه مع رواج السيارات الفاخرة، أختار المخرج حسين كمال هذا لسيد مرسي، لأنه يعرف أنه خبر الدنيا وله تجارب في هذا الشأن أكثر من مرسي جميل عزيز التاجر الغني المرفه.

ووقتها لم يقل مرسي جميل عزيز شيئاً، لكن الموقف أعجبه، وتمنى أن يكتب فيه، ربما أجل الحديث فيه إلى أن يرى إن كان سيستطيع هذا أم لا.

وأسرع وكتب أغنية "يا صبر طيب" قدمها للمخرج، حسين كمال ولمجدي العمروسي مدير الشركة المنتجة، فقرا أن تكون أغنية الفيلم، وأرسلاها إلى كمال الطويل ليلحنها.

وجاء سيد مرسي، فعرضا عليه الأغنية، فقال لهما:

– أنا كتبت أغنية عن هذا الموقف، لكنها ليست في جمال ولا في قوة ما كتبه مرسي جميل عزيز، وأنا موافق أن تأخذوا أغنيته، لكن بشرط آخذ أنا أغنية من عنده.

فوافقوا أن يكتب أغنية "أهي دي الدنيا"، التي كان مقررا أن يكتبها مرسي جميل عزيز.

صفا الجو بعد ذلك بين الدكتور هشام وبين سيد مرسي، واتضح الموقف بعد ذلك، فذلك الشاب الوسيم هو ابن صاحبي فرقة عوالم مشهورة في الإسكندرية اسمها "ياسين وبهية"، وهي التي تحيي هذا الحفل، والشاب الوسيم – ابنهما – يرغب في أن يلتحق في معهد السينما، وسيد مرسي على صلة بوالد ووالدة الشاب، فقال لهما:

– هشام أبو النصر– وكيل المعهد – صديقي، وسأحضره إليكما لتتحدثا معه في ذلك.

سرنا بعد ذلك إلى الكازينو، وصعدنا إلى المسرح، جلسنا مع أعضاء الفرقة، وكأننا جميعا؛ منهم.

قدم شقيق العريس – وهو تاجر كبير في وكالة الخضار والفاكهة بالحضرة – قطعة كبيرة من الحشيش، لنا، قطعها بالمطواة أمامنا، لكننا

رفضنا جميعا، كانت أم الشاب الوسيم – المسماه بهية – تتابعنا بابتسام، وزوجها الذي يلبس نظارة مقعرة يشرف على عمل الفرقة، وقدما معا أغنية مشتركة. وفتاتان جميلتان – هما أبنتا ياسين وبهية، قدمتا أغنية مشتركة، والأبن الأخير يعزف على آلة الأورج، الأسرة كلها تشترك في العمل بالفرقة.

همس هشام أبو النصر لي، سمعت صوته بصعوبة، قال:

– حكاية ياسين وبهية هذه تصلح مادة لرواية جيدة، سأحكيها لك.

لكن انتهى اللقاء دون أن يحكي لي شيئاً.

لاعبو الكرة والسينما المصرية

اشترك الكثير من لاعبي كرة القدم في تمثيل الأفلام. ولم يكن هذا بدافع فني، وإنما بدافع تجاري بحت. ففي فيلم ليلي – بطولة عزيزة أمير ومن إخراج استيفان روستي عام ١٩٢٧ – استعانوا بـ "مبة كشر" – من باب أن تأتي الجماهير لمشاهدة – الراقصة المشهورة جدا – فقد كان ممثلو وممثلات الفيلم غير معروفين للجمهور العادي وقتذاك، بينما بمبة كشر مشهورة، ويا بخت العروس التي تحيي فرحها بمبة كشر.

وكان ظهور لاعبو الكرة دافعه أن يأتي محبو كرة القدم لمشاهدة نجومهم على الشاشة.

وقد استعان المخرج السكندري اليهودي توجو مزراحي بلاعب الكرة – المشهور في ذلك الوقت – السيد حودة ليظهر في فيلم "الرياضي" الذي عرض في ١٨ نوفمبر عام ١٩٣٧ لإحساسه أن جماهير الإسكندرية – التي صور الفيلم فيها – تعشق السيد حودة نجم ناديهم المفضل، الاتحاد السكندري.

واستعان توجو مزراحي بنجم الكوميديا، السكندري اليهودي شالوم ليكون بطلا للفيلم. والفيلم اسمه "الرياضي"، وليس "شالوم الرياضي" كما يدعي البعض. والادعاء بأن شالوم، هو أول نجم سينمائي تنتج أفلام باسمه، ليس حقيقيا. فقد شاهدت الفيلم قبل كتابة المقال، وتأكدت أن اسمه "الرياضي". وقد يكون الفيلم الوحيد الذي حمل اسم شالوم هو "شالوم الترجمان". بينما ممثلة مثل ليلى مراد حملت أفلام كثيرة اسمها، منذ فيلم ليلى من إخراج توجو مزراحي عام ١٩٤٢ والمأخوذ عن رواية غادة الكاميليا للكسندر ديماس الابن، ثم سلسلة أفلام تحمل اسم ليلي: ليلى بنت الفقراء وبنت الأغنياء وبنت الأكابر. ثم إسماعيل ياسين الذي يعد الأهم من الممثلين الذين حملت أسماءهم أسماء أفلام.

وقد استغل توجو مزراحي شغف جمهور الإسكندرية بناديه الاتحاد وناقش مشكلته، وهي عدم وجود قلب هجوم يستطيع إصابة هدف الخصم والفوز عليه، فشالوم الذي يعشق كرة القدم، ويعشق ناديه، ومن شدة ارتباطه به، يبيع سندوتشات بجوار سور النادي، وهو وزبائنه يفكرون في حل أزمة ناديهم، ويسافر شالوم في رحلة خاصة به، وعند العودة يقابل في القطار اللاعب السيد حودة، فيقدمه للنادي كقلب هجوم ويحقق الفوز لناديه الحبيب.

كان يجب أن يتم تصوير الفيلم في نادي الاتحاد السكندرية الذي المرتبطة حكايته بحكاية الفيلم، لكن صناع الفيلم، وجدوا النادي

لا يصلح للتصوير، فاضطروا أن يصوروه في النادي اليوناني الأصلح والأفخم.

هناك أفلام كثيرة تعرضت للعبة كرة القدم، مثل كابتن مصر لمحمد الكحلاوي، وفيلم حديث المدينة عن حياة اللاعب المشهور عصام بهيج، وقام هو بدور البطولة، وظهر في الفيلم الكثير جدا من نجوم لعبة كرة القدم: على محسن وطه إسماعيل وغيرهما. واشتركت في التمثيل سميرة أحمد وشويكار والراقصة سهير زكي وعزيزة حلمي واسكندر منسى، والفيلم من إخراج إبراهيم عمارة عام ١٩٦٤.

ومن لاعبي الكرة الذين مثلوا في السينما، صالح سليم الذي مثل في ثلاثة أفلام هم: سبع بنات من تأليف نيروز عبد الملك الذي استغل حادث انفجار الطائرة بفريق الشيش المصري، وقام صالح سليم بدور مصطفى زيان كابتن الفريق – ومن إخراج عاطف سالم. ومن حسن حظ الفيلم كان دور صالح سليم صغيرا للغاية. لكن عز الدين ذو الفقار أعطى لصالح سليم دور البطولة في فيلم "الشموع السوداء" – قام فيه بدور شاعر يمر بأزمة عاطفية تفقده بصره، والظاهر أن هذا العمى ساعد صالح سليم لكي يخرج من الفيلم سالما، فحركاته كانت بطيئة، ومناسبة لقدراته التمثيلية المحدودة جدا.

ويحضرني في هذا المقام أن أذكر صديقي – ابن الحي الشعبي الذي نشأت فيه – الذي كان عاشقا لصالح سليم والنادي الأهلي، وكان يقلد صالح سليم في تصرفاته وحديثه وملابسه. فصالح سليم ظهر في

الفيلم مرتديا جاكيت شمواه، ولم يرتح صديقي إلا عندما اشترى جاكيت شمواه مثل معشوقه ومثله الأعلى في الحياة، وسار به وسط الحارة الشعبية الفقيرة.

لكن المخرج هنري بركات كان خطأه أكبر بكثير من خطأ عز الدين ذو الفقار، فقد اختار صالح سليم لبطولة فيلم "الباب المفتوح" لا حول ولا قوة إلا بالله. البطل في الفيلم ثوري، يشترك في مقاومة الإنجليز الذين يحتلون مصر، ويسافر لمدن القناة ليحاربهم هناك. يعني الدور محتاج حركة لا يقدر عليها صالح سليم.

الفيلم توفرت له كل أسباب النجاح، رواية عظيمة للطيفة الزيات ومخرج عبقري سبق أن أخرج أجمل وأكمل الأفلام المصرية، وممثلون وممثلات غاية في القمة، فاتن حمامة بعفويتها وخبرتها، ودور مركب تعطي فيه كل القدرات، ومحمود مرسي العبقري، الموهوب، الدارس للسينما. وحسن يوسف الشاب الخفيف الروح وشويكار وميمي شكيب ومحمود الحديني وغيرهم، فلماذا لم ينجح الفيلم؟ السبب هو اختيار صالح سليم لهذا الدور. وكي لا يغضب محبو صالح سليم والنادي الأهلي. فإنني معترف بأنه وسيم وأنيق في ملبسه، لكنه لا يمتلك أي حضور سينمائي. وفي رأيي، قد أفسد جهد لطيفة الزيات وهنري بركات وباقي العاملين في الفيلم.

ومثل عادل هيكل في فيلم ظريف وشيق اسمه "إشاعة حب". قام بدور خطيب النجمة هند رستم. وبالطبع اختياره من قبل المخرج فطين

عبد الوهاب، كان بدافع شهرته كحارس مرمى لفريق النادي الأهلي، وللمنتخب القومي المصري وقت عرض الفيلم. وربما كان للمنتج دخل كبير في هذا الاختيار ليضمن جماهير كبيرة جدا، ستشتري التذاكر وتملأ السينما. وكان عادل هيكل غير مناسب للدور، وغير قادر على اقناعنا بإنه خطيب هند رستم حقا، فهو أمام جمهور السينما عادل هيكل حارس مرمى الأهلي ولا يمكن أن يكون شيئا آخر.

كان الفيلم غاية في السلاسة وخفة الدم، فوجئنا بيوسف وهبي في أداء دور كوميدي رائع، لدرجة أننا كنا نذكر كلماته لزوجته (إحسان شريف)، ونتندر بها: يا بنت سلطح ملطح، يا بنت المفلس، وحضور سعاد حسني الطاغي وخفة دم عبد المنعم إبراهيم، وتلقائية عمر الشريف وكان هذا الفيلم أحد ثلاثة أفلام أظهرت قدراته العالية قبل اختياره ليمثل دور الأمير على في الفيلم الأمريكي العالمي "لورانس العرب (هذا الفيلم وفيلم في بيتنا رجل وفيلم صراع في النيل)، وجاء عادل هيكل ليقلل من شأن الفيلم، ولو أطال المخرج دوره أكثر من ذلك، لفسد الفيلم، كما فسد فيلم الباب المفتوح.

يذكرني الاستعانة بلاعبي الكرة في الأفلام السينمائية بحالة الإعلانات التي يفرضها المنتجون على الأفلام، لضمان مبالغ كبيرة من المعلنين، ففي فيلم فاطمة مثلا، تعجب زوزو شكيب بأثاث البيت، فتسأل: جايبين الأثاث الجميل ده منين؟ فيردون عليها: من محلات.. أو في فيلم فلفل، تأتي سيدة لتسأل البقال: صابونة ورد النيل، فيقول:

كانت عندي كمية كبيرة جدا وخلصت، ربع ساعة والكمية الجديدة تحضر.

ظهور لاعبو الكرة في الأفلام كأنهم جملة اعتراضية، أو توقف وقت عرض الفيلم لتقديم الإعلان.

علي بك مظهر وحمادة عزو وكشف المستور

كتب لينين الرملي مسرحيته على بك مظهر عام ١٩٧٦، عن شاب يعيش في الأوهام، دبلوم تجارة، وفقير للغاية، لكنه يتعامل مع الآخرين على أنه شخص عظيم، يتعالى على كل المتعاملين معه.

عندما شاهدنا المسرحية، اكتشفنا أننا كنا نعيش مع هذه الشخصيات دون أن نعي أنها شخصيات مريضة.

اكتشفتُ أن صديقي المقرب لي يعاني من هذه المشكلة، فهو يكبرني بسنوات قليلة. وسيم، يرتدي ملابس أنيقة، ويتكلم مع الآخرين في كبرياء. والده عامل في وكالة الخضار والفاكهة بالحضرة، ويسكنون حجرة داخل شقة. لكنه يحرص على ارتداء ملابس غالية الثمن، كان مجنونا بالنادي الأهلي، وشديد الإعجاب بصالح سليم، لاعب الكرة، ثم رئيس النادي بعد ذلك، رآه في فيلم الشموع السوداء يرتدي جاكيت شمواه، فاقترض وادخر، وأخذ من أبيه وأمه وإخوته حتى اشترى جاكيت شمواه، وكان يسير به في الحارة الفقيرة التي لم تعتد ذلك.

ويجلس معي في ديليس في محطة الرمل، فينظر إلى رواد المقهى في كبرياء قائلا:

- هذه طبقة صنعتها الثورة.

وغضب عندما حدد جمال عبد الناصر الملكية، فقلت له:

- هل تمتلك أراضي تخضع لتحديد الملكية؟

فقال في حماس شديد:

- لا، ولكنني كنت سأكون مالكاً لآلاف الفدادين في المستقبل.

تأملت شخصيته، وأظهرتها في روايتي الأولى "الصعود فوق جدار أملس" عام ١٩٧٧.

واكتشفت أن جاري على مظهر أيضا. فهو يتحدث عن نفسه كثيرا، ويشيع عن نفسه قصصا لم تحدث، فجمع بين عائلتين قويتين كانتا تتعاركان، وأنهى الخصومة بينهما. وإنه سب فلان الفلاني (شخص غني جدا ومهم في المنطقة)، ولم يستطع أن يرد عليه. وحكى لابنتي بإنه هو الذي علمني الكتابة، وإنني في مسابقة ثقافية كبيرة، كانوا يسألونني، فانظر إليه وهو بين صفوف المشاهدين، لكي يسعفني برد السؤال.

وإذا قابل شخصاً يظل يحكي له عن بطولاته المزيفة لساعات طوال، فهرب منه الناس، وتجنبوه.

وفي عملي شاهدت شخصية على مظهر. زميل عمل في قسم التدريب، هو وزميل آخر، لكن عندما قابله أحد معارفه وسأله عن زميل لنا في الشركة، قال:

- يمكن يكون بيشتغل عندي، أصلي موظفيني كتار جدا، ومعرفهمش من بعض.

وقبل الأعياد كان رئيس الشركة والمديرين الكبار، يأتون لمصافحتنا وتهنئتنا بالعيد، وهو كان يفعل مثلهم. وشاهدت رئيس النقابة في شركتنا، يداعبه قائلا: يا على مظهر.

هذه نماذج قليلة جدا، من مجموعة شخصيات اكتشفتها بعد أن شاهدت مسرحية على مظهر ثم المسلسل والفيلم المأخوذان عن المسرحية.

وقد سألني صديقي المرحوم محمد الجمل:

- من أحب أولادك إليك؟

فقلت: كلهم واحد.

فقال: لا، أنا عندي ولد وإبنتين، الولد قليل التواجد في البيت، والبنتان، الكبيرة متعلقة بي، مرة سمعت زوجتي تزعق لي، فلامتها، وقالت لها: -

- بتكلميه ليه كده؟!

وتراني أكتب أو أقرأ، فتأتي إلى قائلة: أكيد محتاج لفنجان قهوة. وتعد القهوة وتأتي لنشربها معاً.

وشاهدت مسلسل تليفزيوني باسم "حمادة عزو" عام ٢٠٠٧ من تأليف يوسف معاطي فاكتشفت أننا نعيش مع هذا الحمادة منذ سنوات طويلة جدا، دون أن نحس. واكتشفت أن كل أسرة فيها حمادة عزو.

فإنني لدي ولدين وبنتين، زوجتي متعلقة مع ابنة واحدة بشكل ملحوظ، يحسه الجميع. فهي تتحدث معها تليفونيا كل يوم، ووقتها تنسى نفسها وتطيل الحديث، حتى تنسى الطعام الذي تعده، فأحيانا

ألحقه وأطفئ النار، وكثيرا ما احترق الطعام. وعندما تأتي ابنتها هذه، تجلس معها وتتحدثان في همس لساعات، وتنصحها بطريقة مستفزة، تذكرني بمحمد صبحي عندما كان يتقمص شخصية عطيات، ويقول لهناء الشوربجي: يا بنت مش كده، حايجيلك المرض البطال.

وعند النوم، تقترب منها ويظلا لوقت متأخر من الليل تتحدثان. وكثيرا ما نبهتها بأنها تكاد لا تتصل بابنتها الأخرى، المتزوجة مثلها والبعيدة عنها. ويداعبها أصغر أبنائي قائلا: دي حمادة عزو بتاعتك.

واكتشفتُ أن قريبة لي تعامل ابناً من أبنائها على أنه حمادة عزو، تعامله منذ سنوات طويلة بهذا الاهتمام غير العادي، ولم نلحظ هذا إلا بعد مشاهدة المسلسل. فقريبتي هذه تعطي كل ما تملك لهذا الابن، وتدافع عنه حتى لو كان مخطئا، حتى تعود على هذا، وشكت لي بأنه لا يدفع مليما في مصاريف بيته، ولا تعرف أين يذهب بأمواله، قالت: "إنني أعتبره بنتا بشورها".

ومن الممكن أن تخسر أقرب ما لها، من أجله. الغريب إنه ليس أكبر ابنائها ولا أصغرهم، وتدهش لماذا خصته هو بالذات بهذا الاهتمام.

وصديق تربى في دلع، فقد كان وحيد والديه، فأعطوه كل الحب والحنان والاهتمام، وتعود على هذا، فهو يريد أن تفعل زوجته معه كما كانت تفعل أمه ويفعل أباه، بل يريد أن يدلله أولاده. فقلت له:

– لا تغضب مني، فأنت حمادة عزو.

فقال: وأزعل ليه، ما أنا فعلا حمادة عزو.

فهرس

كتب صادرة للمولف

– الصعود فوق جدار أملس – رواية – أقلام الصحوة ١٩٧٧.

– الشركـاء – رواية – مطبوعات مديرية الثقافة بالإسكندرية ١٩٨٢.

– جبل ناعسة – رواية – طبعة أولى المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٣.

طبعة ثانية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

طبعة ثالثة – الأعمال الكاملة فبراير ٢٠١٦– هيئة الكتاب.

– الجهيني – رواية طبعة أولى – سلسلة المواهب ١٩٨٤.

طبعة ثانية دار ومطابع المستقبل ١٩٩٤.

طبعة ثالثة – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦ – هيئة الكتاب.

– الهماميل رواية – روايات الهلال ١٩٨٨ طبعة ثانية الأعمال.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة فبرير ٢٠١٦ – هيئة الكتاب.

– شارع البير رواية – أصوات أدبية ١٩٩٥هيئة قصور الثقافة.

– النجعاوية – رواية – دار ومطابع المستقبل ١٩٩٦.

– إسكندرية ٦٧ – رواية– هيئة الكتاب ١٩٩٩.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة فبراير ٢٠١٦ – هيئة الكتاب.

– سوق عقداية – رواية – الملتقى المصري للإبداع ١٩٩٩.

– ليالى الإسكندرية – رواية – دار الوفاء للنشر والتوزيع ٢٠٠٠.

– الاختيار – مجموعة قصصية – طبعة محدودة (ماستر) مديرية الثقافة – بالإسكندرية ١٩٨٢.

طبعة ثانية – هيئة الكتاب ١٩٨٦.

– حفل زفاف في وهج الشمس – مجموعة قصصية – مختارات فصول ١٩٩٩.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦ – هيئة الكتاب.

– ليالي غربال – رواية – روايات الهلال ٢٠٠٢.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦ – هيئة الكتاب.

– وجوه مجموعة قصصية – هيئة الكتاب بالاشتراك مع اتحاد الكتاب ٢٠٠٣.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦ .

– ظمأ الليالي – رواية – طبعة أولى مطبوعا ت الكلمة المعاصرة ٢٠٠٠ طبعة ثانية مكتبة الأسرة ٢٠٠٣.

– الطيور – مجموعة قصصية– أصوات أدبية ٢٠٠٤ هيئة قصور الثقافة.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦.

– سينما الدورادو– رواية – الكتاب الفضي – سبتمبر ٢٠٠٦.

طبعة ثانية – الأعمال الكاملة – فبراير ٢٠١٦.

طبعة ثالثة – الأعمال الكاملة – هيئة الكتاب.

أدب أطفال

– أبو قير وأبو صير سيناريو للأطفال –كتاب العربي الصغير أكتوبر ٢٠٠٥

– الشجرة الصغيرة – مجموعة قصصية للأطفال – كتاب قطر الندى مارس ٢٠٠٧ .

– شدو البلابل – مجموعة قصصية للأطفال – هيئة الكتاب ٢٠٠٩.

– وصية الملكة مجموعة قصصية –كتاب قطر الندى يونيو ٢٠١٣.

– قسط الشقة الجديدة – مجموعة قصصية –كتاب قطر الندى – مارس ٢٠١٥.



هذا الكتاب :

يقدم حكايات وأسرار ارتبطت بنجوم الفن في عصره الذهبي ، فيتناول طرائف ارتبطت بعبد الحليم حافظ في الاسكندرية ، واكتشفت الكاتب أن قصة فيلم فاطمة لأم كلثوم، قصة حقيقية، وبطلتها المطربة فاطمة سري

ويحكي الكتاب عن حب رامي والقصبجي العجيب لأم كلثوم، وصدمتهما عندما علما بزواجها من الملحن محمود الشريف، فخرج رامي ببيجامته وركب الأتوبيس ذاهبا إليها، بينما أطلق القصبجي طلقات مسدسه في بيتها، فاضطرت أن تطلب له بوليس النجدة.

ويحكي عن كاميليا اليهودية التي انفجرت بها الطائرة واحترق جسدها الجميل، ونذكر المصير الذي يلقاه صوت اسمهان المميز والنادر، فقد ماتت في عز شبابها وكذلك انتهت حياة كل شبيهات صوتها، جيهان ونادية فهمي ونازك. ماتوا كلهن في عز الشباب، وفي ظروف صعبة.



